صحيفة		صحيفة	
١١٧	باب ذم الغوغاء والسفهاء	١٢١	باب ذم الرقيب
	باب مدح العمى	١٢٢	باب مدح لا
١١٨	باب ذم العمى		باب ذم لا
١١٩	باب مدح السجن		باب مدح اليمين
١٢٠	باب ذم السجن	١٢٣	باب ذم اليمين
	باب مدح التعليم		باب مدح شهر رمضان
١٢١	باب ذم التعليم	١٢٤	باب ذم شهر رمضان
	باب مدح الرقيب	١٢٥	باب مدح الوعد
			باب ذم الوعد

(تمت)

(كتاب)

الامام أبي نصر أحمد

ابن عبد الرزاق المقدسي الذي

جمع فيه بين كتابي العلامة الشيخ أبي منصور

الثعالبي المسمى أحدهما باللطائف

والظرائف في الاضداد والآخر

باليواقيت في بعض

المواقيت عفا

الله عنهما

آمين

(طبع بمصر)

﴿فهرست كتاب اللطائف والظرائف للاديب أبي نصر المقدسي رحمه الله تعالى﴾

صحيفة		صحيفة	
٢	خطبة الكتاب	٣٠	باب مدح التجارة
٤	باب مدح الدنيا		باب ذم التجارة
٥	باب ذم الدنيا	٣١	باب مدح الضياع
٧	باب مدح الدهر	٣٣	باب ذم الضياع
٨	باب ذم الدهر		باب مدح الدور والابنية
١٠	باب مدح السلطان	٣٤	باب ذم الدور والابنية
١٢	باب ذم السلطان	٣٥	باب مدح الحمام
	باب مدح عمل السلطان	٣٦	باب ذم الحمام
١٣	باب ذم عمل السلطان	٣٧	باب مدح المال
١٤	باب مدح الوزارة		باب ذم المال
١٥	باب ذم الوزارة	٣٨	باب مدح الغنى
١٦	باب مدح العقل		باب ذم الغنى
١٧	باب ذم العقل	٣٩	باب مدح الفقر
١٨	باب مدح العلوم		باب ذم الفقر
٢٠	باب ذم العلوم	٤٠	باب مدح القناعة
٢٢	باب مدح الخط والقلم		باب ذم القناعة
٢٣	باب ذم الخط والقلم	٤١	باب مدح القلة
٢٤	باب مدح الادب		باب ذم القلة
	باب ذم الادب	٤٢	باب مدح اللسان
٢٥	باب مدح الشعر والشعراء	٤٣	باب ذم اللسان
٢٧	باب ذم الشعر والشعراء		باب مدح الصمت
٢٨	باب مدح الكتب والدفاتر	٤٤	باب ذم الصمت
٢٩	باب ذم الكتب والدفاتر	٤٥	باب مدح الصبر

صحيفة		صحيفة	
٤٦	باب ذم الصبر	٦٣	باب مدح الحجاب
٤٧	باب مدح الحلم		باب ذم الحجاب
	باب ذم الحلم	٦٤	باب مدح الزيارة
٤٨	باب مدح المشورة		باب ذم الزيارة
٤٩	باب ذم المشورة	٦٥	باب مدح النساء
	باب مدح التأنى	٦٦	باب ذم النساء
٥٠	باب ذم التأنى	٦٧	باب مدح التزوج
	باب مدح الوحدة والعزلة		باب ذم التزوج
٥١	باب ذم الوحدة	٦٨	باب مدح الجوارى
٥٢	باب مدح الشجاعة	٦٩	باب ذم الجوارى
	باب ذم الشجاعة		باب مدح العيال
٥٣	باب مدح الجود		باب ذم العيال
٥٤	باب ذم الجود	٧٠	باب مدح الولد
٥٥	باب مدح البخل		باب ذم الولد
	باب ذم البخل	٧١	باب مدح البنات
٥٦	باب مدح الحقد	٧٢	باب ذم البنات
	باب ذم الحقد	٧٣	باب مدح الغلمان
٥٧	باب مدح الحياء	٧٤	باب ذم الغلمان
	باب ذم الحياء		باب مدح الخط والعذار
٥٨	باب مدح الاخوان والاصحاب	٧٥	باب ذم الخط والعذار
٥٩	باب ذم الاخوان	٧٦	باب مدح المماليك
٦١	باب مدح المزاح	٧٧	باب ذم المماليك
	باب ذم المزاح	٧٨	باب مدح الخصيان
٦٢	باب مدح العتاب	٧٩	باب ذم الخصيان
	باب ذم العتاب		باب مدح النبيذ

صحيفة		صحيفة	
٨١	باب ذم النبيذ	٩٨	باب مدح الغربة
	باب مدح الصبوح	٩٩	باب ذم الغربة
٨٢	باب ذم الصبوح	١٠٠	باب مدح الفراق
٨٤	باب مدح السماع		باب ذم الفراق
٨٥	باب ذم السماع	١٠١	باب مدح البكاء
	باب مدح الزجاج	١٠٢	باب ذم البكاء
٨٦	باب ذم الزجاج	١٠٣	باب مدح الرؤيا
٨٧	باب مدح الذهب		باب ذم الرؤيا
٨٨	باب ذم الذهب	١٠٤	باب مدح الهدية
	باب مدح الشطرنج	١٠٥	باب ذم الهدية
٨٩	باب ذم الشطرنج		باب مدح الدين
٩٠	باب مدح النرجس		باب ذم الدين
٩١	باب ذم النرجس	١٠٦	باب مدح الشباب
	باب مدح الورد	١٠٧	باب ذم الشباب
٩٢	باب ذم الورد		باب مدح الشيب
	باب مدح الشتاء	١٠٩	باب ذم الشيب
٩٣	باب ذم الشتاء	١١٠	باب مدح الخضاب
٩٤	باب مدح الصيف	١١١	باب ذم الخضاب
	باب ذم الصيف		باب مدح المرض
	باب مدح المطر	١١٢	باب ذم المرض
٩٥	باب ذم المطر		باب مدح الموت
٩٦	باب مدح القمر	١١٣	باب ذم الموت
	باب ذم القمر	١١٤	باب مدح السواد
	باب مدح السفر	١١٦	باب ذم السواد
٩٨	باب ذم السفر		باب مدح الغوغاء والسفهاء

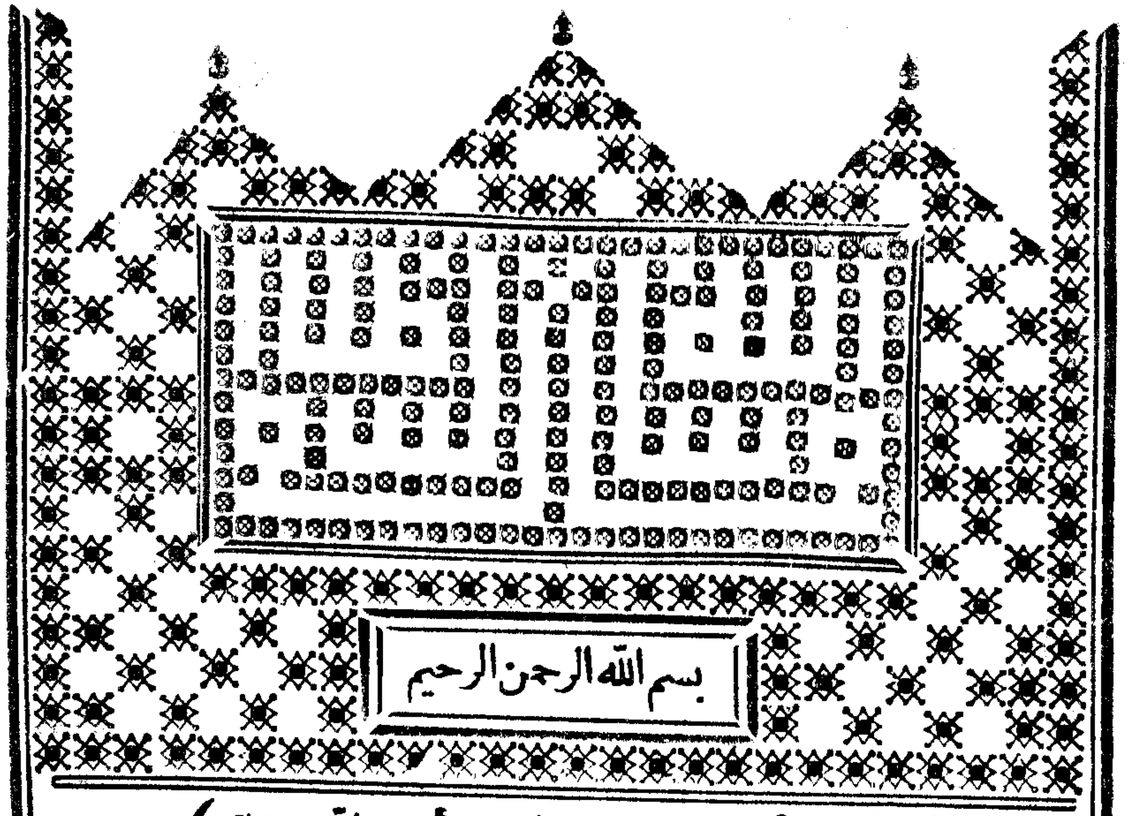

بسم الله الرحمن الرحيم

(قال أبو نصر أحمد بن عبد الرزاق المقدسي أسعده الله برضاته)

الحمد لله خير ما طلب به استفتاح الكلام واستنجاح المرام وصلى الله على سيد الأنام محمد وآله وأصحابه الطيبين الكرام (وبعد) فهذا الكتاب كان في نسختين متناسبتي الجمع متناسختي الوضع سمى الشيخ أبو منصور الثعالبي رحمه الله تعالى أحدهما كتاب الظرائف واللطائف والآخر كتاب المواقيت في بعض المواقيت وأفرد لكل منهما صدرا أورد فيه لمن عمله باسمه ذكرا فجمعت بينهما في قرن وعطفت عنانيهما الى سنن اختصارا للطريق الى فوائدهما وضما الشمل فرائدهما وعسى أن يحمد أثري فيما آثرت ويستظرف رأي فيما رأيت فيه وأشرت والله تعالى يوزعنا من الاعتقاد أرصنه ومن العمل أحصنه ويجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه فافتتح الظرائف واللطائف بقوله حمدا لخالق الخلق وباسط الرزق وصلواته على الصادع بالحق محمد رسوله الداعي الى الصدق وشكرا لشكر البحر المجدو بدر الارض مولانا الامير السيد الملك المؤيد العادل العالم أبي العباس مأمون بن مأمون خوارزم شاه مولى أمير المؤمنين أدام الله سلطانه وحرس عزه ومكانه فقد بسط باع العدل وأطال عنان الفضل وجلا صفحة الاحسان

وفرش مهاد الامن والامان ونشر شعاع اليمن على أهل الايمان وأقام قناة الدين ومدرواق الملك المتين وفاق من في الارض بمكارم الاخلاق

وكاد يحكيه صوب الغيث منسكبا * لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا

والدهر لو لم يجر والشمس لو نطقت * والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

نعم وجدد رسوم العلم بعد أن نسجت عليها العنكبوت وأحيا أنواع الآداب وقد كادت أن تموت فهو يحبها حب المحسن لمن أحسن اليه والغارس غرس يديه ويتوفر على استجلاب ما بعد من درها واستثارة ما كمن من غررها ويحرص عليها حرص النفس على تنفس الهواء ويطلبها طلب طير الماء للماء ذلك لامتزاج الادب بطبعه كامتزاج الشرف بنبعه والتحام الفضل بخلقه كالتحام الكرم بخلقه وكونه من السودد في سواد عينه وسويداء قلبه فعين الله عليه من كل طرف عائن وقلب خائن وأدام الله جمال العالم بطول عمره وثبات ملكه ونفاذ أمره وانتظام سلكه ولأخلاه من علو الراية وادراك الغاية واعزاز الاولياء واذلال الاعداء ولقاء النجح بين مطارح آرائه ومصارف أقلامه والصنع في مضارب سيوفه ومناقب أعلامه وهذا دعاء لو سكت كفيته * لاني سألت الله فيك وقد فعل

(ثم ان هذا الكتاب) دلني ما استسعدت به من الخدمة واستشعرته من شكر النعمة على ابتداء وضعه وابتداع جمعه واختراع مالم أسبق الى مثله ولم أشارك في ارتباط شكله فالفته بالاسم العالي بمنة الله في مدح كل شئ وذمه وتزيينه وتهجينه وسياقه أحسن ما أحاضر به فيه وفي ضده (وترجمته بالظرائف واللطائف في الاضداد) وافتتح المواقيت في بعض المواقيت بخطبة هذه نسختها الحمد لله ما أمكن الحمد الى أن يقطع العدو صلواته على خير من أرسل بخير ما أنزل سيدنا محمد المصطفى وآله وأصحابه الذين ارتضى (هذا) أطال الله بقاء الامير الاجل كتاب مترجم بالمواقيت في بعض المواقيت في مدح كل شئ وذمه ولم أسبق الى جمعه وابتداع وضعه وشاهدي على دعواي ان خزانة كتبه عمرها الله بدوام عمره ونظام أمره وهي أم الفقر والغرر ومعدن الملح والطرف وقانون التحف والنكت خالية من مثله في فنه وان العبد أبا نصر سهل ابن المرزبان وهو حليف الكتب وأليفها وابن بجدتها وأخو جلتها وأبو عذرتها لم تقع عينه على شبهه وطالما افترع على الزمان أن يتفق لاحد تأليفه ويتقدم له

تبويبه وترتيبه فافتتحته بنيسابور وتطرفته بجرجان وتنصفته بالجرجانية واستتممته بغزنة اذكان مدخور العالى مجلسه ومقصورا على خزانة مجده ولم يعن عليه الاعلو همته ويمن دولته واذا كان مولانا أوحد السادات وهم آحاد الدنيا وفرد الملوك وهم أفراد العلما فينبغى أن يكون الكتاب الذى يخدم به من وسائط عقود الادب وأناسى عيون الكتب ولئن أحيانى الله تعالى على يده و رزقنى المثول بحضرة عزه وكعبة سوددة لانفقن باقى عمرى على خدمته و أغرب وأبدع تأليفاتى باسمه وسمته لازال مولانا للمعاسن كالينبوع للماء والزند للنار وأدام الله ملكه وأعز نصره و زاد علو أمره وأراه من أشباله وأهليته ليوناو بدورا يستقلون باعباء المملكة و يصلون جناحه فى حماية الحوزة و يرحم الله عبدا قال آمينا وهذا الكتاب مشتمل على مائة واثنين وستين بابا

(باب مدح الدنيا)

فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه الدنيا حلوة خضراء فمن أخذها بحقها بورك له فيها (وذكر) أمير المؤمنين على رضى الله عنه الدنيا فقال هى دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها وهى مسجد أحباء الله ومهبط وحيه ومصلى ملائكته ومتجر أوليائه اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وأهلها وشوقت بسرورها الفانى الى السرور الباقى وحذرت ببلائها الماضى البلاء الغابر التالى ترغيبا وترهيبا فيا أيها الذام المغتر بتغريرها المنخدع لاباطيلها حتى غرتك أبصارع آبائك للبلا أم تضاجع أمهاتك تحت الثرى فهذا أحسن ما روى فى مدحها وقال ابن المعتز فى رسالة له الدنيا دار التأديب والتعريف ومضمار التهذيب والتثقيف التى بمكروهها يوصل الى محبوب الآخرة وميدان الاعمال السابقة باصحابها الى الجنان ودرجة الفوز التى يرقى فيها المتقرب الى دار الخلد والرضوان وهى الواعظة لمن عقل والناصحة لمن قبل وبساط المهل ورباط العمل وقاصمة الجبارين وملحقة الرغم بعاطس المتكبرين وكاسية التراب أبدان المختالين وصارعة المغترين ومصرعة المعتزين ومفرقة أموال الباخلين وقاتلة القتالين والعادلة بالموت على العادلين ومهبط القرآن المبين ومسجد

العابدين وأم النبيين وناصرة المؤمنين ومبيدة الكافرين والحسنات فيها مضاعفة والسيآت باآلامها معفوة ومع عسرها يسران والله تعالى ضمن أرزاق أهلها وأقسم فى كتابه بما فيها ورب طيبة من نعيمها قد حد الله تعالى عليها فتلقتها أيدى الكتبة ووجبت بها الجنة ورب مال من زينتها وجه الى معروفها فكان جوازا على الصراط وكم نائبة من نوائبها وحادثة من حوادثها قد راضت الفهم ونبهت الفطنة وأذكت القريحة وأفادت فضيلة الصبر وكثرت ذخائر الاجر (وقيل) لعلى رضى الله عنه يا أمير المؤمنين ألا ترى حرص الناس على الدنيا فقال هم أبناؤها فاخذ هذا المعنى محمد بن وهيب الحميرى وقال

نراع لذكر الموت ساعة ذكره * ونعترض الدنيا فنلهو ونلعب
وقد ضمنت الدنيا الى صروفها * وخاطبنى اعجامها وهو معرب
ولكننا منها خلقنا لغيرها * وما كنت منه فهو شئ محبب

(وقال أبو العتاهية)

ما أحسن الدنيا واقبالها * اذا أطاع الله من نالها
من لم يواس الناس من فضلها * عرض للادبار اقبالها

(وقال محمود الوراق)

هى الدنيا وزخرفها * ولكن ما مصائرها
فقد وعظت مقابرها * وان غشت موارد ها * فقد نصحت مصادرها

(قال) وأنشدنى أبو عبد الله محمد بن حامد الخوارزمى لبعضهم

تذم دنيا ان تأملتها * وجدت منها ثمن الجنة

وقال عبد الملك بن صالح ما جشت الدنيا باطرف من النبيذ فنظمه أبو محمد بن مطران الشاشى

ألا ان دنياك معشوقة * يفاديها كل عيش لذيذ
ولكنها قط ما جشت * من الملهيات بمثل النبيذ

(وقلت) فى كتاب المبهج الدنيا معشوقة ريقها الراح

(باب ذم الدنيا)

(قال) بعض الحكماء الدنيا غرارة غرارة ان بقيت لها لم تبق لك (وقال) آخر واجد الدنيا سكران وفاقدها حيران (وقال آخر) أف من أشغال الدنيا اذا أقبلت

فاصبر على حدثان الدهر وارض به * مادام فى الدهر مهموم ومسرور

وانشدنى أبو القاسم حبيب المذكور لغيره

رضا بالدهر كيف جرى وصبرا * ففى أيامه جمع وعيد

ولم يخشن عليك قضيب عود * من الايام الا لان عود

(ولابى الفتح بن العميد)

أين لى من يفى بشكر الليالى * حين ضافت خيالها بخيالى

لم يكن لى على الزمان افتراح * غيرها منية فجادبها لى

(وللوزير المهلبى) رق الزمان لفاقتى * ورثى لطول تحرقى

وأتانى ما أرتجى * وأفانى ما أتقى

فلا صفحن عما جنا * ه من الذنوب السبق

حتى جنايته بما * فعل المشيب بمفرقى

(باب ذم الدهر)

(قال) بعض الحكماء أف للدهر ما أكدر صافيه وأخيب راجيه وأعدى أيامه وليا ليه (وقال آخر) من له يدان بغوائل الزمان (وقيل) يسار الدهر فى الاخذ أسرع من يمينه فى البذل لا يعطى بهذه الا ارتجع بتلك (وقال آخر) الدهر لا يؤمن يومه ويخاف غده ويرضع ثديه ويجرح يده * وقيل الدهر يغر ويضر ويسوء من حيث يسر * وقال آخر الدهر لا تهنى فيه المواهب حتى تتخللها المصائب ولا تصفو فيه المشارب حتى تكدرها الشوائب (وفى فصل لابن المعتز) هذا زمان متلون الاخلاق متداعى البنيان موقظ الشر منيم الخير مطلق أعنة الظلم حابس روح العدل قريب الاخذ من الاعطاء والكآبة من البهجة والقطوب من البشر مر الثمرة بعيد المجتنى قابض على النفوس بكربته منيخ على الاجسام بوحشته لا ينطق الا بالشكوى ولا يسكت الا على غصص وبلوى (ومثله فصل للصاحب) الزمان حديد الظفر لئيم الظفر حلو المورد مر المصدر أثره عند المرء كاثر السيف فى الضريبة والليث فى الفريسة (ولشمس المعالى قابوس بن وشمكير) الدهر شركله مفصله ومجمله ان أضحك ساعة أبكى سنة وان أتى بسيئة جعلها سنة

ومن أراد منه غير هذا سيره * أراد من الاعمى عينا بصيره ومن ابتغى منه الرعاية ابتغى من الغول الهدايه (ومن) أحسن ما قيل فى ذمه قول ابن المعتز وهو الامام فى ذلك ألست ترى يا صاح ما أعجب الدهرا * فذمالة لكن للخالق الشكرا

لقد حبب الموت البقاء الذى أرى * فيا حبذا من لم يسكن القبرا

وله يا دهر ويحك قد أكثرت فجعاتى * شغلت أيام دهرى بالمصيباتى

ملأت ألحاظ عينى كلها حزنا * فأين لهوى وأحبابى ولذاتى

حسبى لربى وذما للزمان فما * أقل فى هذه الدنيا مسراتى

وله يا صاحبى ان الزما * ن كما علمت وما علمته

يفنى الذى جمعته * بيدى ويحصد ما زرعته

ويخون من صافيته * عمدا ويعشق من مقته

وجهلته فحمدته * وذممته لما عرفته

ولطالما عاتبته * حتى على رغمى تركته

(وقال عبد الله بن طاهر)

ألم تر أن الدهر يهدم ما بنى * ويأخذ ما أعطى ويفسد ما أسدى

فمن سره أن لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيأ يخاف له فقدا

(وقال بعضهم)

ألم تر أن الدهر يوم وليلة * يكران من سبت عليك الى سبت

فقل لجديد الدهر لا بد من بلى * وقل لاجتماع الشمل لا بد من شت

(وقال البستى)

صبرا على الدهر الخؤون وريبه * يا نفس كيلا تبتلى بكآبه

واذا صبرت على اساءة ظالم * لا تندمى فثوابه بك لا به

(ومن قلائد ابن الرومى فى هذا المعنى)

دهر علا قدر الوضيع به * وترى الشريف يحطه شرفه

كالبحر يرسب فيه لؤلؤه * سفلا وتعلو فوقه جيفه

(وانشدنى أبو بكر الطبرى)

الدهر يستخدم من يخدم * حتى يذيق الهون من يكرم

كالارض لا تطعم من فوقها * الا الذى تطعم من تطعم

ولغيره بامحنة الدهر كفى * ان لم تكفى نفسى * ما ان يكن ترجمينا
من طول هذا التشفى * ذهبت أطلب بختى * فقيل لى قد توفى
نور ينال الثريا * وعالم متخفى

(ولابى محمد المروزى)

تقاضاك دهرك ما أسلفا * وكدر عيشك بعد الصفا
فلا تنكرن فان الزمان * جدير بتشتيت ما ألفا

(ولابى جعفر الموسوى)

أى خير ترجو بنو الدهر فى الدهر ومازال قاتلا لابنيه
من يعمر يفجع بفقد الاخلا * ء ومن مات فالمصيبة فيه

(وقلت) أقول والقلب مكدود باحزان * والصبر أبعد مما بين أجفانى
حتى متى أنا يدمى العض أنملتى * غيظا على زمن قد رام ازمانى
فكل يوم أرانى من نوائبه * كانتى أصبع والدهر أسنانى

(وقلت أيضا) كم الى كم تبرمى بحياتى * أتلوى تلوى الحيات
تحت عبء من الزمان ثقيل * وخطوب قوسن منى قناتى

(ولابن لنكك البصرى)

يازمانا ألبس الاحرار ذلا ومهانه * لست عندى بزمان
انما أنت زمانه * كيف أرجو منك خيرا * والعلى فيك مهانه
أجنون ما أراه * منك يبدو أم مجانه

(ولقابوس بن وشمكير)

قل للذى بصروف الدهر عيرنا * هل عائد الدهر الا من له خطر
ففى السماء نجوم غير ذى عدد * وليس يكسف الا الشمس والقمر
أما ترى البحر تعلو فوقه جيف * وتستقر بأقصى قعره الدرر

(وقال آخر) يادهر ويحك ماذا الغلط * وضيع علا وشريف هبط
حمار يرتع فى روضة * وطرف بلا علف يرتبط

(باب مدح السلطان)

(قد قرن) الله طاعته وطاعة النبى بطاعة السلطان حيث قال جل ذكره أطيعوا الله

وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم (وقال) النبى صلى الله عليه وسلم السلطان ظل الله فى أرضه يأوى اليه كل مظلوم من عباده فاذا عدل كان له الاجر وعلى الرعية الشكر واذا جار كان عليه الاصر وعلى الرعية الصبر واذا جارت الولاة قحطت السماء وقال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن وقال الفضيل بن عياض رحمه الله لو كانت لى دعوة مستجابة لجعلتها للسلطان قيل ولم تقدمه على نفسك قال ان دعوتى لنفسى لا تنفع غيرى فاذا كانت له انتعش البلاد والعباد بعدله وصلاحه (وقال) عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه لابد للانام من وزعة وقيل للحسن ما تقول فى السلطان فقال ما عسيت أن أقول فى قوم يلون من أمورنا خمسة الجمعة والجماعة والثغور والحدود والفىء والله ما يستقيم الدين الا بهم وان جاروا وظلموا ولما يصلح الله بهم أكثر مما يفسد (وقال) الجاحظ لولا السلطان لاكل الناس بعضهم بعضا كما أنه لولا الراعى لاكلت السباع على الماشية (ومن الامثال) جاور ملكا أو بحرا وفى فصول ابن المقفع فساد الرعية بلا سلطان كفساد الجسم بلا روح وفى بعض كتب العجم ان الملك العادل كالشمس فى الشتاء والقمر فى الخريف والرخاء فى جميع الازمنة وهو فى الاصحاب كالرأس فى الجسد وفى الاولياء كماء الغسل وفى الحرب كالحريق المشتعل (وقيل) مثل الاسلام والسلطان والاعوان والرعية كالفسطاط والعمود والاطناب والاوتاد لا يقوم بعض ذلك الا ببعض وقال ابن المعتز الملك بالدين يبقى والدين بالملك يقوى وذكر ابن المقفع فى يتيمته السلطان وما للناس فيه من كثرة المنافع وقلة المضار كالشمس فى النهار وشبهه ما يصل الى أكثر الناس من عدله وفضله مع ما يمس بعضهم من الظلم بالغيث الذى يغيث البلاد وينعش العباد ويعم الاودية ويتداعى له البنيان وتكون فيه الصواعق والرياح التى هى روح النفوس ولقاح الثمار وبها تسير سحائب الجو وسفائن البحر وقد تضر بكثير من الناس وتتعدى الى أموالهم ونفوسهم وبالشتاء والصيف اللذين بتعاقبهما صلاح الحرث والنسل وحياة الحيوان والنبات وقد يكون الضر والاذى فى البرد اذا لذع والحر اذا سفع وبالليل الذى جعله الله سكنا ولباسا وقد تعدو فيه هوام الارض وسباعها ويستوحش به الوحيد وذو العلة والمسافر فى القفر وبالنهار الذى جعله الله ضياء ونشورا ومعاشا وقد تصح فيه الغارات والوقائع

و يكون فى ظهائره النصب والغوب وليس مايصل الى الآحاد والشواذ من مكروه الامور العامة النفع مزيلا لها عن طريق الحد وكذلك المضار اذا اتفقت بأن تتضمن نفعا للقليل من الناس مع اجحافها بالكثير لم تزل عن طريق الذم

﴿باب ذم السلطان﴾

(قال) بعض الحكماء اياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبى و يأخذ أخذ السبع ومن الامثال الملك عقيم أى لا أرحام بين الملوك و بين أحد وفيها من ملك الاستأثر وقال المأمون ان فينا معشر الملوك حسدا واستئثارا ومحكا ولجاجا وكان أبو على الصغانى يقول من والانا أخذنا ماله ومن عادانا أخذنا رأسه (وفى كتاب كليلة ودمنة) من سكر السلطان أنه يرضى عمن استوجب السخط و يسخط على من استوجب الرضا من غير سبب معلوم وكذلك قالت العلماء خاطر من ولج فى البحر وأشد مخاطرة منه خادم السلطان وقيل أسرع الاشياء تقلبا قلوب الملوك و يقال اذا تغير السلطان تغير الزمان وقيل سكر السلطان أشد من سكر الخمر و يقال اعتزل السلطان بجهدك فان من خدمه بحقه وشرطه يحال بينه و بين لذة الدنيا وعمل الآخرة ومن لم يوف خدمته حقها خسر الدنيا والآخرة * وكان الفضل بن مروان يقول ما رأيت أقرب رضا من سخط ولا أسرع ما بين قرب رضا وسخط من الملوك و يقال ثلاثة لا أمان لهم البحر والزمان والسلطان وكان حذيفة بن اليمان رضى الله تعالى عنه يقول اياكم ومواقف الفتن يعنى أبواب السلاطين (وقال) ملك لبعضهم لم لا تأتينا قال ما أصنع بآتيانك وانك ان أدنيتنى فتنتنى وان أبعدتنى أحزنتنى (ويقال) ثلاثة لا ينبغى للعاقل أن يغتر بهن المال والصحة والمنزلة من السلطان (وقال) البديع ان الملوك ان خدمتهم ملوك وان لم تخدمهم أذلوك وكان الضحاك بن مزاحم يقول انى لاستهر عامة ليلى مفكرا ألتمس كلمة أرضى بها سلطانى ولا أسخط ربى فلا أجدها

﴿باب مدح عمل السلطان﴾

(كان) معاوية رضى الله عنه يقول نحن الزمان من رفعناه ارتفع ومن وضعناه اتضع وعوتب بعض الحكماء على خطبته عمل السلطان فقال لقد خطبه وطلبه الصديق بن اسرائيل بن الذبيح بن الخليل عليهم الصلاة والسلام حيث قال للملك بمصر اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم (وفى كتاب كليلة ودمنة) مثل السلطان فى اقباله على

الاقرب فالاقرب منه دون الافضل فالافضل مثل الكرم الذى لا يتعلق بأبعد الشجر بل بأقربها منه * ومن أمثال هذا الباب قول زياد فى رجل ولى تحصيب جامع البصرة آثر الامارة ولو على الحجارة * ومن أمثال العجم من تبع الاسود لم يحرم لذيذ الصيد (ومن أمثال بغداد) غبار العمل خير من زعفران التعطيل وكان يونس النحوى يقول الولاية وكل مدح والعزل وكل ذم والشيب وكل عيب و يقال أربعة لا يستحيا من خدمتهم السلطان والوالد والضيف والاستاذ وكان أحمد بن اسرائيل يقول أربعة لا يقيمها الا عمل السلطان اتصال الدعوات واتخاذ القينات والابنية والتمتع بالسراري الثمينة (ويقال) من خدم السلطان فهو خادم من جهة وملك من أخرى ومن خدم الرعية فهو خادم من كل جهة (ويقال) من خدم السلطان خدمه الاخوان والجيران وقيل أربعة لا يستقل قليلها النار والمرض والعدو والسلطان

﴿باب ذم عمل السلطان﴾

(من) أمثال العامة صاحب السلطان كراكب الاسد يهابه الناس وهو من مركبه أهيب وقيل من تحسى مرقة السلطان احترقت شفتاه ولو بعد حين وقيل من أكل من مال السلطان زبيبة أداها تمرة (وفى كتاب كليلة ودمنة) مثل السلطان كالجبل الصعب المرتقى الذى فيه كل ثمرة طيبة وكل سبع حطوم فالارتقاء اليه شديد والمقام فيه أشد (وكان) ابراهيم بن العباس يقول أصحاب السلطان كقوم ركبوا جبلا ثم وقعوا منه فكان أقربهم الى الردى أبعدهم فى المرقى و يقال أدوم التعب خدمة السلطان وقيل من أراد العز بالسلطان لم ينله حتى يذل ومن فضول ابن المعتز أشقى الناس بالسلطان صاحبه كما ان أقرب الاشياء الى النار أشدها احتراقا وقال أيضا من شارك السلطان فى عز الدنيا شاركه فى ذل الآخرة و يقال لا تتشبث بالسلطان فى وقت اضطراب الامور عليه فان البحر لا يكاد يسلم منه راكبه فى حال سكونه فكيف عند اختلاف رياحه واضطراب أمواجه وقيل لا يدرك الغنى بالسلطان الا كل نفس خائفة وجسم تعب ودين مثلم (وقد نظمه أبو الفتح البستى فقال)

يا من يرى خدمة السلطان عدته * ما آرش كدك الا الكد والندم
دع الملوك فخير من وجودك ما * ترجوه عندهم الحرمان والعدم
انى أرى صاحب السلطان فى ظلم * مامثلهن اذا قاس الفتى ظلم

أريد بلوغ الغاية التي لا يقول عدوي قد بلغها وليس الا الانحطاط وقد قال الشاعر

ان الوزير وزير آل محمد * أودى فمن يشناك كان وزيرا

وكان ابراهيم بن المدبر اذا عرضت عليه الوزارة أنشد قول العتابي

تلوم على ترك الغنى باهلية * نفى الدهر عنها كل طرف وتالد
ترى حولها النسوان يرفلن كالدمى * مقلدة أعناقها بالقلائد
فقلت لها لما رأيت دموعها * تحدرن فوق الخد مثل الفرائد
أمرك اني نلت ما نال جعفر * من المال أو ما نال يحيى بن خالد
وأن أمير المؤمنين أعضني * معضهما بالمرهفات البوارد
ذريني تجنني ميتتي مطمئنة * ولم أتجشم هول تلك الموارد
فان عليات الامور مشوبة * بمستودعات في بطون الاساود

(وقال) بعض الحكماء أكثر الناس حاسدا وعدوا ومنابذا وزير السلطان وكان في كتاب مروان أخوف ما تكون الوزراء عند سكون الدهماء (وقيل) مثل الملك الصالح اذا كان وزيره فاسدا مثل الماء الصافي العذب النمير الذي فيه التماسيح لا يستطيع الانسان وروده وان كان عائما والى الماء حائما (ولابستي في معناه)

حرضوني على وزارة بست * ورأوها من أعظم الدرجات
قلت لا أشتهي وزارة بست * انني لم أمل بعض حياتي

(وله) أكتاب بست كم تفاخركم علي * وزارة بست وهي قاصمة الظهر
وزارة بست كالبهاء اذا سرى * ومدتها منذ الغداة الى الظهر
فلا تخطبنها انها ضرة النهى * وبغيتها روح البعولة في المهر

(وله) وزارة الحضرة الكبيره * خطيئة بل هي الكبيره
فلا تردها ولا تردها * فانها محنة مبيره

(باب مدح العقل)

(قال) الله تعالى في شأن تعظيم العقل ان في خلق السموات والارض الى قوله لآيات لقوم يعقلون وقال جل ذكره فاتقون يا أولي الالباب وقال عز اسمه ان في ذلك لعبرة لأولي الالباب (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم الناس يعملون الخيرات وانهم يعطون أجورهم يوم القيامة على قدر عقولهم (وقيل) له عليه الصلاة والسلام في

الرجل الحسن العقل الكثير الذنوب فقال ما من آدمي الا وله خطايا وذنوب فمن كانت سجيته العقل لم تضره ذنوبه لانه كلما أخطأ لم يلبث أن يتدارك ذلك بتوبة تمحو ذنوبه وتدخله الجنة وقال سعيد بن المسيب في قوله عز وجل وأشهدوا ذوي عدل منكم يعني ذوي عقل وقال مجاهد في قوله تعالى جده ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أي عقل وقال الضحاك في قوله جل ثناؤه لينذر من كان حيا أي عاقلا وقال الحسن العقل هو الذي يهدي الى الجنة ويحمي عن النار لقوله عز وجل حكاية عن أهل النار وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير وقال حكيم لا مال أعوز من العقل وقيل العقل أشرف الاحساب وما عبد الله بمثل العقل وقال آخر العقل أحصن معقل وقال آخر أشد الفاقة عدم العقل وقال آخر كل شئ اذا كثر رخص الا العقل فانه كلما كثر غلا (ومن فصول ابن المعتز) العقل غريزة يربيها التجارب (ومنها) حسن الصورة الجمال الظاهر وحسن العقل الجمال الباطن (ومنها) ليست الصورة الانسان انما الانسان العقل (ومنها) ما أبين وجوه الخير والشر في مرآة العقل ان لم يصدأها الهوى (ومنها) العقل صفاء النفس والجهل كدرها وقال الشاعر

يعذر في القوم من كان عاقلا * وان لم يكن في قومه بحسيب
اذا حل أرضا عاش فيها بعقله * وما عاقل في بلدة بغريب

وفي كتاب رهن العيون في الجد والمجون في مدح العقل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله العقل قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال له وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أكرم علي منك بك آخذ وبك أعطي وبك أثيب وبك أعاقب ثم قال لو أن رجلا قاتل في سبيل الله وحج واعتمر وغزا لما دخل الجنة الا بمقدار عقله وقال أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه العقل قرة عين والجهل رائد حين وقيل رغبة العاقل فيما يكفيه وهم الجاهل فيما لا يعنيه وقيل من اتعظ بأبلغ العظات نظر الى محلة الاموات ومصارع الآباء والامهات وقلت فكرته في الشهوات

(باب ذم العقل)

(كان) يقال العقل والهم لا يفترقان (وقال ابن المعتز)

وحلاوة الدنيا لجاهلها * ومرارة الدنيا لمن عقلا

ومن قصار فصول ابن المعتز العاقل لا يدعه ما ستر الله من عيوبه يفرح بما أظهره الله من محاسنه (وله فصل يليق بهذا الباب في نهاية الحسن) العقل كالمرآة المجلوة يرى صاحبه فيها مساوى نفسه فلا يزال في صحوه مهموما متعذر السرور فاذا شرب صدئ عقله بمقدار ما يشرب فان أكثر منه غشيه الصدأ كله حتى لا تظهر له صورة تلك المساوى فيفرح ويمرح والجهل كالمرآة الصديئة أبدا فلا يرى صاحبه الا مسرورا أبدا نشطا قبل الشرب وبعده (ومن قلائد المتنبي قوله)

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله * وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

قال أبو الفتح بن جني هذا كقولهم ما سر عاقل قط (ولما) عزل عمر بن الخطاب زيادا عن عمل كان يتولاه قال له زياد يا أمير المؤمنين أمن عجز أو خيانة فقال لا من أحدهما ولكني كرهت أن أحمل على الناس فضل عقلك وكان الحسن البصري رحمه الله يقول لو كان للناس كلهم عقول لخربت الدنيا وقال آخر لولا الحمق لبطل العالم وقال بعضهم لو كان الناس كلهم عقلاء ما أكلنا طيبا ولا شربنا عذبا يعني أن العقلاء لا يقدمون على صعود النخيل لاجتناء الرطب ولا على حفر الآبار لاستنباط الماء البارد العذب وينشد لما رأيت الدهر دهر الجاهل * ولم أر المغبون غير العاقل

شربت خمرا من خمور بابل * فصرت من عقلي على مراحل

(باب مدح العلوم)

قد مدح أبو عثمان الجاحظ أنواع العلوم وذمها بأعيانها معربا عن قدرته على الكلام وبعد شأوه في البلاغة وحين سئل عن الأثر فقال هو أخبار الماضين وأنباء الغابرين وقصص المرسلين وآداب الدنيا والدين ومعرفة الفرض والنافلة والشريعة والسنة والمصلحة والمفسدة والنار والجنة الى صاحبه تشد الرحال وحوله يعتكف الرجال ويسير به ذكره في البلدان ويبقى اسمه على ممر الزمان (قيل فالفقه) قال فيه علم الحلال والحرام وبه تعرف شرائع الاسلام وتقام الحدود والاحكام وهو عصمة في الدنيا وزينة في الاخرى يخطب لصاحبه فضل الاعمال ويخلع عليه ثوب الجمال ويلبسه الغنى ويبلغه مرتبة القضا (قيل فالكلام) قال عيار كل صناعة وزمام كل عبارة وقسطاس يعرف به الفضل والرجحان وميزان يعلم به الزيادة والنقصان ومحك يميز به الخاص والعام والخالص

والمشوب ويعرف به الابريز والستوق وينظر به الصفو والكدر وسلم يرتقى به الى معرفة الصغير والكبير ويوصل به الى الحقير والخطير وأداة للتفصيل والتحصيل وادراك الدقيق والجليل وآلة لاظهار الغامض المشتبه وأداة لكشف الخفي الملتبس وبه تعرف ربوبية الرب وحجة الرسل ويحترز به من شبهات المقالات وفساد التاويلات وبه تدفع مضلات الاهواء والنحل وتبطل تاويلات الاديان والملل وينزه عن غباوة التقليد وغمة التزييد (قيل فالفلسفة) قال أداة الضمائر وآلة الخواطر ونتائج العقل وأدلة لمعرفة الاجناس والعناصر وعلم الاعراض والجواهر وعلل الاشخاص والصور واختلاف الاخلاق والطبائع والسجايا والغرائز (قيل فالنجوم) قال معرفة الأهلة ومقادير الاظلة وسموت البلدان وأقدام الزوال في كل وقت وزمان وعلم ساعات الليل والنهار في الزيادة والنقصان وأمارات الغيوث والامطار وأوقات سلامة الزرع والثمار (قيل فالطب) قال سائس الابدان والمنبه على طبائع الحيوان وبه يكون حفظ الصحة ومرمة العلة والوقوف على المنافع والمضار والابانة عن خبايا الاسرار وعليه يضطر اليه الخاص والعام ويفتقر اليه الناس والانعام ولا يستغني عنه الصغير والكبير ويحتاج اليه الحقير والخطير (قيل فالنحو) قال يبسط من العي اللسان ويجري من الحصر البيان وبه يسلم من هجنة اللحن وتحريف القول وهو آلة الصواب المنطق وتسديد كلام العرب (قيل فالحساب) قال علم طبيعي لا خلاف عليه واضطراري لا مطعن فيه ثابت الدلالة صائب المقالة واضح البرهان شديد البنيان سالم من المناقضة خال من المعارضة حاكم يقطع الخلاف مؤد الى الانصاف والانتصاف وبه حفظ الاعمال ونظام الاموال وقوام أمور الملوك والتجار وثبات قوانين البلاد والامصار (قيل فالعروض) قال ميزان الشعر وعيار النظم ورائض الطبع وسائس الفهم وبه يعرف الصحيح من المريض وفلك عليه مدار القريض (قيل فالتعبير) قال علم نبوي وسفير الهي واشارة سماوية وعبارة غيبية وبشير ونذير يخبر عن الاشياء الغائبة والحاضرة وينبئ عن أمور الدنيا والآخرة (قيل فالخط) قال لسان اليد ولهجة الضمير ووحي الفكر وناقل الخبر وحافظ الاثر وعمدة الدين والدنيا ولقاح اللفظ والمعنى (قال مؤلف

الكتاب) فهذا آخر ما حكى عن الجاحظ فى مدح العلوم *وهذا ما أحاضر به فى مدح العلم والعلماء (عن) النبى صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الأنبياء ويقال العلم خير من المال لان العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والملوك حكام الناس والعلماء حكام على الملوك (وقال بعض العلماء) ليس شئ أعز من العلم وقال بعض العلماء انا لم نطلب العلم لنحيط به كله اذ لا سبيل الى ذلك ولكن لنستكثر من الصواب ونستقل من الخطأ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال عليه السلام اطلبوا العلم ولو بالصين وقال صلوات الله وسلامه عليه لا خير فيمن لا يكون عالما أو متعلما * ومن فضائل العلوم أن شهادة أهلها مقرونة بشهادة الله تعالى جده وملائكته فى قوله عز اسمه شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم (وقال) على رضى الله عنه كفى بالعلم شرفا أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح اذا نسب اليه ويقال العلماء فى الارض كالنجوم فى السماء لولا العلم لكان الناس كالبهائم وقال بعض الحكماء العلم حياة القلوب ومصباح الابصار وقال ابن المعتز فى فصوله علم الرجل ولده الخلد وقال أيضا الجاهل صغير وان كان شيخا والعالم كبير وان كان حدثا وقال أيضا ما مات من أحيا علما (وقلت) فى الكتاب المبهج العلم أشرف ما وعيت والخير أفضل ما أوعيت وفيه العلماء أعلام الاسلام وأمان الانام قال الشاعر

العلم خير أداة أنت جامعها * تاقى الرجال به فى الحفل ان حفلوا

وآفة العلم أن ينسى وأفضله * ما وافق العلم ممن يكمل العمل

وقال أيضا اذا العلم لم تعمل به صار حجة * عليك ولم تعذر بما أنت حاهله

(ويقال) جالس واعين قومكم يعظم حلمكم ويكثر علمكم وقال سلمان علم لا يقال كنز لا ينفق ويقال باب من العلم جسيم اذا سئلت عن الذى لا تعلم فقلت لا أعلم

(باب ذم العلوم)

(سئل) الجاحظ عن العلوم فأجاب بخلاف ما تقدم ونقض ما هناك أبرم (سئل عن الكلام) فقال متفاوت الاصول قليل المحصول همة مناظر مملق وآلة مهذار متمشدق (قيل فالفقه) قال يعتقد بالآراء ويتقلد بالاهواء دقيقه لا يلحق وجليله لا ينفق وهو من علوم المدابير المحير فى التدابير (قيل فالحديث) قال همة ضعيف وآلة

مسن (قيل فالفلسفة) قال كلام مترجم وعلم مرجم بعيد داه قليل جدواه مخوف على صاحبه سطوة الملوك وعداوة العامة (قيل فالنجوم) قال حدس وترجيم وخسف وتنجيم صوابه عسير وغلطه كثير حرفة محدود وصناعة غير محدود (قيل فالطب) قال موضوع على التخمين والحدس وتعليل النفس لا يوصل منه الى الحقيقة ولا يحكم فيه بالوثيقة (قيل فالنحو) قال علم مخترع وقياس مبتدع ثقيل على الاسماع قليل الارتفاع والانتفاع علم معدم وصناعة معلم (قيل فالعروض) قال علم مولد وأدب مستبرد يشكل العقول ويستولد الغفول مستفعلن وفعول من غير فائدة ولا محصول (قيل فالحساب) قال مستحجم عسير ومستوخم كدر بعيد الادراك شديد الاشتباه والاشتباك (قيل فالتعبير) قال ظن وحسبان لا يثبت به دليل ولا برهان ولا يقوم عليه شاهد ولا تبيان علم مضعوف وصناعة مكفوف (قيل فالخط) قال قليل الرد يسير الرفد صناعة مورق وبضاعة مزوق * فهذا ما نقل عن الجاحظ فى مدح العلوم وذمها (وتقول) أهل بغداد فى أمثالهم جهل يعوانى خير من علم أعوله ومن أمثالهم كف بخت خير من كر علم (وفى ذلك قيل) وما أصنع بالعلم * اذا أعطيت بالجهل

(وقال ابن أبى البغل)

الصعو يصفو آمنا من جهله * حبس الهزار لانه مترنم

لو كنت أجهل ما علمت لسرنى * جهلى كما قد ساءنى ما أعلم

(وقال غيره)

المال يستر كل عيب فى الفتى * والمال يرفع كل نذل ساقط

فعليك بالاموال فاقصد جمعها * واضرب بكتب العلم عرض الحائط

(وكتب الى عمر بن شبة بعض أصدقائه)

أجفاء يا ابن شبه * بعد نصح ومحبه ولزوم للداوو * ين ومايعطوك حبه

ليس يغنى عنك عند القوم سفيان وشعبه فالزم الجهل فان الجهل عند القوم رتبه

ودع العلم فان العلم فى ذا الدهر سبه

(وقال) بعض الشعراء للقاضى بن خلاد الرامهرمزى

قل لابن خلاد اذا جئته * مستندا فى المسجد الجامع

هذا زمان ليس يحظى به * حدثنا الاعمش عن نافع

﴿باب مدح الخط والقلم﴾

(يقال) القلم أحد اللسانين وقال اقليدس القلم صانع الكلام يفرغ مايجمعه القلب ويصوغ مايكتبه اللب وقال أيضا الخط هندسة روحانية وان ظهرت بآلة جسمانية (وقال أفلاطون) الخط عقال العقل (وقال) جعفر بن محمد رضى الله عنهما لم أر باكا أحسن تبسما من القلم وقال المأمون لله در القلم كيف يحول وشى المملكة وقال ثمامة ماأثرته الاقلام لاتطمع فى دروسه الايام وقال ابن المعتز القلم مجهز لجيوش الكلام يخدم الارادة ولايمل الاستزادة كانه يفتح باب بستان أو يقبل بساط سلطان وقيل الاقلام مطايا الاوهام فامتطوها يطرد لكم الكلام ويسهل بحريها النظام (ويقال) عقول الرجال تحت أسنة أقلامها وعن بعض الفلاسفة أنه قال صورة الخط فى الابصار سواد وفى البصائر بياض (وقال مؤلف الكتاب) قدنوه الله باسم الكتابة وعظم من شأنها اذ أضافها الى نفسه جل ذكره وان لم تكن تلك الاضافة من النوع الذى يضاف الى خلقه ولا راجعة بوجه من الوجوه الى شبههم الا أنه دلنا بها على علو رتبتها وشرف منزلتها فقال عز من قائل وكتبنا له فى الالواح الآية وقال تعالى جده وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس وقال سبحانه كتب الله لاغلبن أنا ورسلى وجعل جل جلاله من ملائكته كتبة سفرة وهم ارفع الخلق درجة وقال عز ذكره وان عليكم لحافظين كراما كاتبين وقال تعالى ورسلنا لديهم يكتبون وقال جل ذكره بأيدى سفرة كرام برررة ومعلوم أنه لولم تكتب أعمال العباد كانت محفوظة لايتخللها خلل ولايتداخلها نسيان ولازلل لكنه علم عز اسمه أن نسخ الكتاب أبلغ فى التحذير وأوكد فى الانذار وأهيب فى الصدور وأراد تعريف عباده فضيلة الخط والكتابة وأقسم عز اسمه بالآلة التى تتهيأ بها الكتابة وهى القلم فقال ن والقلم وما يسطرون كما أقسم بالاشياء الجليلة الاقدار الكبيرة الاخطار فى نفوس عباده وعيون بلاده كالشمس والقمر والليل والنهار والسماء والارض * وذا كرت فى هذا أبا الفتح البستى فأنشدنى لنفسه

اذا افتخر الابطال يوما بسيفهم * وعدوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب فخرا ورفعة * مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

(وفى رسالة) لمؤلف الكتاب أوردها فى كتاب النظم والنثر وحل عقد السحر للمجلس الرفيع أولها فى طريق اللغز وآخرها فى مدح القلم * أما أصم سميع أخرس بليغ ضعيف قوى مهين عزيز دقيق الجسم جليل الفعل نحيل الشخص سمين الخطب حقير المنظر شهير المخبر صغير الجرم عظيم الجرم الخ (وقال ابن المعتز)

اذا أخذ القرطاس خلت يمينه * يفتح نورا أو ينظم جوهرا

وقال كشاجم

واذا نمت بنانك خطا * معربا عن ملاحة وسداد
عجب الناس من بياض معان * تجتلى من سواد ذاك المداد

وقال البستى

ان هز أقلامه يوما ليعملها * أنسالك كل كمى هز عامله
وان أقر على رق أنامله * أقر بالرق كتاب الانام له

﴿باب ذم الخط والقلم﴾

(قال ابن المعتز)

وأجوف مشقوق كان سنانه * اذا استحملته الكف منقار لاقط
وتاه به قوم فقلت رويدكم * فما كاتب بالكف الا كشارط

وقال أبو العلاء المعرى لو كان فى الخط فضيلة لما حرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقال) بعض أولاد الامراء الخط صناعة ولاتحسن الصناعة بالملوك (وقال كشاجم)

سل بى عن الايام تعرف * انى ابن دهر ليس ينصف

و بلاغتى معروفة * سهل وأخطاها التكلف * وسطور خط مونق كالروض والبرد المفوف * والخط ليس بنافع * مالم يكن فى خط مصحف

وقال بعض الحكماء ماذا لقينا من الكتاب فى الدنيا والآخرة أما فى الدنيا فقد بلينا به وأخذنا بحفظ فرائضه واقامة سرائطه وأما فى الاخرة فانا نلقاه منشورا بسرائرنا وحفاياضمائرنا وذكر الجاحظ عامة الكتاب فقال أخلاق حلوه وشمائل معسوله وثياب مغسوله وتظرف أهل الفهم ووقار أهل العلم فاذا صلوا بنا الامتحان والاختبار وعرضوا على محك الاعتبار كانوا كالزبد يذهب جفاء أو كنبات الربيع فى الصيف تحركه هيفاء الرياح لايستندون الى وثيقة ولايدينون بحقيقة أخفر الخلق لاماناتهم وأشراهم بالثمن البخس لعهودهم وديانتهم فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون (وقال الشاعر)

واذا أخطأ الكتابة حظ * عدمت تاؤها فصارت كآبة

(ومن ملح ماقيل فى ذم الكتبة لابن عروس)

تعس الزمان لقد أتى بعجاب * ومحا رسوم الظرف والآداب

فاتى بكتاب لو انطلقت يدى * فيهم رددتهم الى الكتاب

(وقوله أيضا)

وكاتب يقرأ القرآن فى سند * من بعد حين وأما بعد فى حين

لا يعرف الفرق فى عمرو ولا عمر * جهلا ولا الفرق بين السين والشين

(ولبعض أهل العصر)

وكاتب كتبه تذكرنى القرآن حتى أظل فى عجب

فاللفظ قالوا قلوبنا غلف * والخط تبت يدا أبى لهب

وقيل فلان قد صدأ فهمه وتبلد طبعه وتكدر خاطره ويقال خط عجمج ولفظ ملجلج

(باب مدح الادب)

(قال بزرجمهر) ليت شعرى أى شئ أدرك من فاته الادب وأى شئ فات من أدرك الادب وقال ابن عائشة القرشى أهل الادب هم الاكثرون وان قلوا ومحل الانس أين حلوا (وقال) خالد بن صفوان لابنه يابنى الادب بهاء الملوك ورياش السوقة والناس بين هاتين فتعلمه تجده حيث تحب وقيل الادب وسيلة الى كل فضيلة وذريعة الى كل شريعة (وقلت فى الكتاب المبهج) حلية الادب لاتخفى وحرمته لاتجفى

وقال البريدى ليس الفتى كل الفتى * الا الفتى فى أدبه

وبعض أخلاق الفتى * أولى به من نسبه

وقال بعض الظاهرية لو علم الجاهلون ما الادب لاتقنوا انه هو الطرب وقال حكيم لابنه يابنى عز السلطان يوم لك ويوم عليك وعز المال وشيك ذهابه جديرا نقطاعه وانقلابه وعز الحسب الى خمول ودثور وذبول وعز الادب راتب واصب لايزول بزوال المال ولا يتحول بتحول السلطان ويقال من قعد به حسبه نهض به أدبه وقال ابن المعتز لست تعدم من الاديب كرما من طبعه أو تكرما من أدبه وقال أيضا الادب صورة العقل فحسن عقلك كيف شئت

(باب ذم الادب)

(كان) يقال اذا كثر أدب الرجل قل خيره ومن قل خيره كثر ضيره وقال الجدونى ويروى للخليل بن أحمد البصرى

ما ازددت فى أدبى حرفا أسر به * الا تزايدت حرفا تحته شوم

ان المقدم فى حذق بصنعته * أنى توجه فيها فهو محروم

(وقال أبو الحسن المشادى)

اذا سرك أن تحظى * وان تلبس فوهيا من الخز أو الوشى * يمانيا وسوسيا

وان تصبح ذا عز * فكن عن الجانبيطيا وان سرك حرمان * به تصبح مقليا

فكن ذا أدب جزل * وكن مع ذاك نحويا

وقال آخر اذا هممت بشأو قات انى قد * أدركته أدركتنى حرفة الادب

لا تغبطن أديبا ماله نشب * لا خير فى أدب الامع النشب

وقال بعضهم حرفة الادب حرقة * ويقال للادب حرقة لا يخلو منها أديب (وفى هذا الباب من غير هذا الكتاب لقابوس)

ولى همة فوق السماك محلها * ولكن لحظى فى الحضيض نصيب

رأى الفلك الدوار سعيى فقال لى * أتسألنى حظا وأنت أديب *

(باب مدح الشعر والشعراء)

(كان) يقال الشعر ديوان العرب ومعدن حكمتها وكنز أدبها ويقال الشعر لسان الزمان والشعراء للكلام أمراء وقال بعض السلف الشعر أدنى مروءة السرى وأسرى مروءة الدنى وقال آخر الشعر جزل من كلام العرب تقام به المجالس وتستنجح به الحوائج وتشفى به السخائم ويقال المدح مهزة الكرام واعطاء الشاعر من بر الوالدين وقال بعضهم أنصف الشعراء فان ظلامتهم تبقى وعقابهم لا يفنى وهم الحاكمون على الحكام وقال آخر الشعر الجيد هو السحر الحلال والعذب الزلال وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا وعنه عليه الصلاة والسلام أصدق كلمة قالها الشاعر قول لبيد * ألا كل شئ ما خلا الله باطل * وقال له النبى عليه الصلاة والسلام صدقت ثم قال * وكل نعيم لا محالة زائل * قال النبى عليه الصلاة والسلام كذبت نعيم الجنة لا يزول وقال بعضهم رب بيت شعر خير من بيت تبر وكان عمر رضى الله عنه لا يعرض له أمر الا أنشد فيه بيت شعر وكان يقال النثر يتطاير تطاير

الشرر والشعر يبقى بقاء النقش فى الحجر (وقال آخر) الشعر صوب العقول وكلام الفحول وقيل لحمزة بن بيض من أشعر الناس قال من اذا قال أسرع واذا وصف أبدع واذا مدح رفع واذا هجا وضع (وقال دعبل) فى كتابه الموضوع فى مدح الشعراء انه لا يكذب أحد الا اجترأه الناس فقالوا كذاب الا الشاعر فانه يكذب و يستحسن كذبه و يحتمل ذلك له ولا يكون عيبا عليه ثم لا يلبث أن يقال أحسنت وفيه أن الرجل الملك أو السوقة اذا صير ابنه فى الكتاب أمر معلمه أن يعلمه القرآن والشعر فيقرنه بالقرآن ليس لان الشعر كهو ولا كرامة للشعر لكنه من أفضل الآداب فيأمره بتعليمه اياه لانه توصل به المجالس وتضرب فيه الامثال وتعرف به محاسن الاخلاق ومشاينها فتذم وتحمد وتهجى وتمدح وأى شرف أبقى من شرف يبقى بالشعر * وفيه ان امرأ القيس كان من أبناء الملوك وكان من أهل بيته و بنى أبيه أكثر من ثلاثين ملكا فبادوا وبادذكرهم وبقى ذكره الى القيامة وانما أمسك ذكره شعره (وقال) مؤلف الكتاب وأحسن ما مدح به الشعر قول أبى تمام حيث يقول ولولا خلال سنها الشعر ما درى * بنات المعالى كيف تبنى المكارم

(وأحسن منه)

أرى الشعر يحيى الجود والباس بالذى * تبقيه أرواح له عطرات
وما المجد لولا الشعر الا معاهد * وما الناس الا أعظم نخرات
وكان النبى صلى الله عليه وسلم يرتجز و ينشد بيت طرفة ولا يقيم وزنه

(فصل لابى بكر الخوارزمى جامع فى مدح الشعراء) ماظنك بقوم الاقتصاد محمود الامنهم والكذب مذموم ومردود الافيهم اذا ذموا ثلموا واذا مدحوا سلبوا واذا رضوا رفعوا الوضيع واذا غضبوا وضعوا الرفيع واذا أقروا على أنفسهم بالكبائر لم يلزمهم حد ولم تمتد اليهم بالعقوبة يد غنيهم لا يصادر وفقيرهم لا يستحقر وشيخهم يوقر وشابهم لا يستصغر سهامهم تنفذ فى الاعراض وشهادتهم مقبولة وان لم ينطق بها سجل ولم يشهد بها عدل وسرقتهم مغفورة وان جاوزت ربع دينار وبلغت ألف قنطار ان باعوا المغشوش لم يرد عليهم وان صادروا الصديق لم يستوحش منهم بل ماظنك بقوم هم صيارفة اخلاق الرجال وسماسرة النقص والكمال بل ماظنك بقوم اسمهم ناطق بالفضل واسم صناعتهم مشتق من العدل بل ماظنك بقوم هم

أمراء الكلام يقصرون طويله و يطولون قصيره يقصرون ممدوده و يخففون ثقيله ولم لا أقول ماظنك بقوم يتبعهم الغاوون وفى كل واد يهيمون و يقولون مالا يفعلون

(باب ذم الشعر والشعراء)

(كان) يقال الشعر رقية الشيطان ولذلك قال جرير وهو يمدح عمر بن عبد العزيز و يصف ترفعه عن استماع الشعر

رأيت رقى الشيطان لا يستفزه * وقد كان شيطانى من الجن راقيا

(وقيل) ليحيى بن خالد لم لا تقول الشعر فقال شيطانه أخبث من أن أسلطه على عقلى وقال غيره لا خير فى شئ أحسنه أكذبه (وكان) أبو مسلم يقول اياكم والشعراء فانهم يجعون جليسهم و يطلبون على الكذب مثوبة وجعلا وقال غيره لا تجالس الشاعر فانه اذا غضب عليك هجاك واذا رضى عنك كذب عليك وقد وصفهم الله تعالى ومتبعيهم من رواتهم بالصفة الخاصة بهم فقال والشعراء يتبعهم الغاوون الآية وقرنهم بشر صنف من منتحلى الاباطيل وهم الكهنة فقال وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون ومن أحسن وأصدق ما ذم به الشاعر قول عبد الصمد بن المعذل لابى تمام وقد قصد البصرة وشارفها

أنت بين اثنتين تبرز للنا * س وكلتاهما بوجه مذال
لست تنفك طالبا لوصال * من حبيب أو راغبا فى نوال
أى ماء لحر وجهك يبقى * بين ذل الهوى وذل السؤال

فلما بلغت الابيات أبا تمام قال صدق والله واحسن وثنى عنانه عن البصرة وحلف لا يدخلها ابدا وقال ابو سعيد المخزومى

الكلب والشاعر فى حالة * ياليتنى لم اكن شاعرا
اما تراه باسطا كفه * يستطعم الوارد والصادرا

ولبعضهم

انى ارى الشعراء أفنوا دهرهم * فى وصف كل حبيبة وحبيب
وسواهمو يحظى بما وصفوا له * فهمو كما القواد فى الترغيب
لكن ترى القواد يظفر بالعطا * وهمو بمقت الله والتكذيب

(وقال أبو سعيد الرستمى الاصبهانى)

تركت الشعر للشعراء انى * رأيت الشعر من سقط المتاع

ولكن نفسى الى كل شئ * من العلم تسمعه تنزع
فلا أنا أحفظ ماقد جمعت * ولا أنا من جمعه أشبع
ومن يك فى عامه هكذا * يكن دهره القهقرى يرجع
اذا لم تكن حافظا واعيا * فجمعك للكتب لا ينفع

ثم كان قائلا لله شديد الصيانة بالعلم كثير الصيانة له (وأنشد) يونس النحوى

استودع العلم قرطاسا فضيعه * وبئس مستودع العلم القراطيس

(وللاستاذ) الطبرى رسالة فى آفات الكتب نظمها بعض تلامذته فقال

عليك بالحفظ دون الجمع فى كتب * فان للكتب آفات تفرقها
الماء يغرقها والنار تحرقها * واللص يسرقها والفار يخرقها

﴿ باب مدح التجارة ﴾

قد ذكر الله تعالى التجارة فى القرآن حيث قال يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم وقال عز اسمه وأحل الله البيع وحرم الربا وقال جل ذكره وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله وقال النبى عليه الصلاة والسلام أطيب ما يأكل الرجل من كسبه والكسب فى القرآن التجارة وقال عليه الصلاة والسلام التاجر الصدوق مع النبيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وقال عليه الصلاة والسلام تسعة أعشار الرزق فى التجارة وكان صلى الله عليه وسلم برهة من الدهر تاجرا وشخصا مسافرا وباع واشترى حاضرا ولاشتهار أمره فى ذلك قال المشركون مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق فاوحى الله تعالى اليه وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق فاخبر جل اسمه أن الانبياء قبله قد كانت لهم تجارات وصناعات (وكان) عمر رضى الله تعالى عنه يقول ما ميتة بعد القتل فى سبيل الله أحب الى من أن أموت بين شعبتى رحلى أضرب فى أرض الله وابتغى من فضل الله وكان بعض السلف يقول الاسواق موائد الله فى أرضه فمن أتاها أصاب منها (وعن) مجاهد فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم يعنى التجارة فى الاسواق وقيل التجارة امارة والارباح توفيقات

﴿ باب ذم التجارة ﴾

(فى) الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم لو شئت حلفت لكم أن التاجر فاجر وقال عليه

السلام ما أوحى الى أن أجمع وأكون من التاجرين ولكن أوحى الى ان أسبح بحمد ربى وأكون من الساجدين وكان الضحاك يقول ما من تاجر ليس بفقيه الا أكل من الرباشيأ وكان ابن عمر رضى الله عنهما يقول ويل للتاجر من لا والله وبلى والله وكان على رضى الله عنه يقول تفقه ثم اتجر فان التاجر فاجر الا من أخذ الحق وأعطاه ويروى أن ابليس لما استنظر فانظر قال الهى أين بيتى قال الحمام قال ما مصائدى قال النساء قال أين مجلسى قال السوق وكان أبو الدرداء يقول اياكم ومجالس الاسواق فانها تلغى وتلهى (وقال الحسن) الاسواق مصلحة للاموال مفسدة للدين وقيل اياكم وجيران الاغنياء وقراء الاسواق وفقهاء الرساتيق وقيل ويلهم ما أغفلهم عما أعدلهم قال الشاعر

اذا ما غضب السوقى فالحبة ترضيه

(وقال آخر) ما للتجار والسخاء وانما * نبتت لحومهم على القيراط
وقال ابن الرومى رب اطلق يدى فى كل شيخ * ذى رياء بسمته وسكونه
تاجر فاجر جموع منوع * يرهق الناس باقتضاء ديونه

وقال كاوا مال التجار وسوفوهم الى وقت فانهم لئام وليس عليكم فى ذلك اثم فان جميع ما جمعوا حرام وقال عكرمة أشهد على كل وزان وكيال بالنار وفى الخبر اياكم والاسواق فان الشيطان قد باض فيها وفرخ وقال بعض الاشراف لصديق له لا تسلم ابنك فى شئ من أنواع الكسب فانها تورث لا محالة لؤم الطبع وظلمة القلب وقصور الهمة وعى اللسان وسوء الادب ولبعضهم

قد ترى يا ابن أبى اسحق فى ودك عقده * وكذا السوقى للاخوان سوقى المودة

﴿ باب مدح الضياع ﴾

(حدث) هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال التمسوا الرزق فى خبايا الارض وكان عروة يقول ازرع أما لك أرض أما سمعت قول القائل

أقول لعبد الله لما لقيته * يسير باعلى الرقتين مشرقا
تتبع خبايا الارض وادع مليكها * لعلك يوما أن تجاب وترزقا

وقال بعض السلف من أراد أن يتوسع فى الرزق فليقتن مع تجارة له ضيعة ألا ترى أن الله تعالى قد قرن بينهما فى كتابه فقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض وقيل لسفيان بن عيينة ما بال الرجل يبيع الضيعة فلا

يبارك له فى ثمنها فقال اما سمعتم قوله تعالى فى وصف الارض وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فكيف يبارك فى ثمن يزيل عن ملكه شيأ قد بارك الله فيه (وفى الخبر) من باع عقارا ولم يصرف ثمنه فى مثله كان كرمادا شتدت به الريح فى يوم عاصف وقال اسمعيل ابن صبيح لصديق له اتخذ لك ضيعة تعينك اذا جاءتك الاخوان (وقيل)

اذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا * ندمت على التفريط فى زمن البذر

وفى الكتاب المبهج فلاح المعيشة فى الفلاحة ولا ضيعة على من له ضيعة (وفيه) قص جناح المال الطيار باعتقال العقار (وفيه) ليس بحازم من باع العقار وابتاع العقار وشرى الماء واشترى الاماء (وعن) أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبى عليه الصلاة والسلام انه قال ان قامت القيامة وفى يدك فسيلة فاغرسها وروى الجاحظ باسناد له عن عبد الله بن سلام لاتدع غرس يدك ولو سمعت أن الدجال خرج وقيل لعثمان بن عفان رضى الله عنه أتغرس بعد الكبر فقال لان توافينى الساعة وأنا من المصلحين خير من أن توافينى وأنا من المفسدين وقيل لابى الدرداء وهو يغرس جوزة أتغرس بعد الكبر وأنت شيخ وهى لاتطعم الا بعد عشرين سنة أو ثلاثين فقال وما على أن يكون الاجر لى والهناء لغيرى (ويقال) مر كسرى بشيخ كبير يغرس فسيلة فقال أترى أن تأكل من ثمرها فقال لا ولكنى وجدت أرض الله عامرة فأحببت أن لاتخرب على يدى (ويقال) ان شيخا كان يغرس شجر النارجيل وهى لاتثمر الا بعد أربعين سنة فمر به كسرى وقال له أتعيش الى أن تأكل منها فقال الشيخ غرسوا وأكلنا ونغرس فيأكلون فقال كسرى زه زه وأمر له باربعة آلاف درهم وكان من عادته ذلك لمن يقول له زه فقال الشيخ أيها الملك ان غرس السابقين أثمر بعد أربعين سنة وغرسنا أثمر فى يومه فقال كسرى زه زه وأمر له باربعة آلاف مثلها (وسئل واحد) أى المال أفضل فقال عين خرارة فى أرض خوارة قيل ثم ماذا قال الراسخات فى الوحل المطعمات فى المحل الملقحات بالفحل يريد بها النخل وقال الشاعر

استغن أو مت ولا يغررك ذو نسب * من ابن عم ولا عم ولا خال
انى مكب على الزوراء أعمرها * ان الحبيب الى الاخوان ذو حال
كل النداء اذا ناديت يخذلنى * الا ندای اذا ناديت يامالى

(وقلت فى المبهج) اذا ما نقل الدهقا * ن غلات الرساتيق

فكم من نعمة بيضاء * فى سود الحوالق

(وقلت أيضا) يارب أنت وهبتها لى نعمة * أضحت تعين على الزمان ببرها
ووهبت منها نعمة لاتلهنى * يارب أنت بسكرها عن شكرها

(باب ذم الضياع)

(قلت فى المبهج) الضيعة ضائعة مالم تدبرها بقوة ساعد وجد مساعد وفيه الضياع مدارج الغموم وكتب وكلائها سفاتج الهموم (وقلت) فى رقعة الى وكيل أجبته بها

يارقعة طويت على حيات * وعقارب كدرن ماء حياتى
ما أنت الا من تباريح الجوى * وسفاتج الاحزان والحسرات
وكأن أحرفك الكريهة أعين * لرواقب أو ألسن لوشاة
أو كالضياع رقاع قيمتها اذا * وافت أتت بحوادث الآفات

(وقلت أيضا) قد قلت قولا سديدا * يروى العطاش بمائه
ان الخراج خراج * دواؤه فى أدائه

هو منظوم من قول الصاحب حيث قال الخراج خراج دواؤه فى أدائه وذكرت الضياع وجلالتها ونوائبها بحضرة أبى العباس احمد بن محمد بن الفرات فأنشدنى

هى المال الا أن فيها مذلة * فمن شاء قاساها ومن مل باعها

وقال أبو زكريا يحيى بن اسمعيل الحربى لابن محمد السلمى

قد كانت الضيعة فيما مضى * تعد من ملكها ذاهبه
فصار من يملكها يومنا * مهجته فى حفظها ذاهبه
يستغرق الغلة فى خرجها * وتفضل الكلفة والنائبه
فان يقم صاحبها كل ذا * ينجو والا نتفوا شاربه

(باب مدح الدور والابنية)

كان يقال جنة الرجل داره وقال يحيى بن خالد لابنه جعفر يابنى دارك قميصك فوسعه كيف شئت وذكر الاحنف الدور فقال لتكن أول ما يشترى وآخر ما يباع وقيل لبعض الناس ما السرور فقال دار قوراء وامرأة حسناء وفرس مرتبط بالفناء

(وينشد) ومن المروأة للفتى * ماعاش دار فاخره

فاقنع من الدنيا بها * واعمل لدار الآخره

وكان يقال دار الرجل عشه وفيها يطيب عيشه وقال السلمى فى كتابه نتف الظرف الدور للناس كالعش للطير والاوجرة للوحش والجحرة للحشرات ودار الرجل ماوى نفسه وموضع أمنه ومسكن قلبه ومجمع أهله ومحرز ملكه ومأنس ضيفه وملتقى صديقه وعدوه فلا شئ أصعب على الناس من خروجهم من ديارهم وقد قرن الله تعالى الخروج منها بالقتل حيث قال ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم (وقال) المتوكل لابى العيناء كيف ترى دارنا هذه فقال يا أمير المؤمنين رأيت الناس يبنون الدور فى الدنيا وأنت بنيت الدنيا فى دارك وقال بعض الاشراف لابنه يا بنى حسن أثرك فى هذه الدنيا بالبناء الحسن واسمع قول الشاعر ليس الفتى بالذى لا يستضاء به * ولا يكون له فى الارض آثار

ولا تنس قول الآخر ان آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

(ومن أحسن ما قيل فى بناء الملوك قول على بن الجهم)

ومازلت أسمع ان الملو * ك تبنى على قدر أخطارها

فلما رأيت بناء الاما * م رأيت الخلافة فى دارها

وكان جعفر بن سليمان الهاشمى يقول العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق والمربد عين البصرة وداري عين المربد * ومن أحسن ما سمع فى التهنئة بالدور قول أبى القاسم الزعفرانى فى الصاحب

سرك الله بالبناء الجديد * نلت حال الشكور للمزيد

هذه الدار جنة الخلد فى الدنيا فصلها واختصها بالخلود

وما ألف الكتاب فى الاخشيد بحر جانية

وقصر ملك ترى كل الجمال به * وأسعد الدهر تبدو من جوانبه

كأنه جنة الفردوس قد نزلت * الى خوارزم تجميلا لصاحبه

(باب ذم الدور والابنية)

فارق النبى صلى الله عليه وسلم الدنيا ولم يضع لبنة على لبنة وكان عليه السلام يقول اذا أراد الله بعبد سوأ جعل ماله فى الطين والماء وعنه أيضا عليه السلام أنه قال اذا أراد الله بعبد شرا أهلك ماله فى الآبن والطين وقال وهب بن منبه فى الحديث

القدسى قال الله عز وجل من استغنى باموال الفقراء أفقرته ومن تجبر على الضعفاء أذللته ومن بنى بقوة الفقراء أعقبت بناءه الخراب (وقال وهب بن الوردى) كان نوح عليه السلام اتخذ بيتا من خص فقيل له لو بنيت بناء فقال هذا لمن يموت كثير وقال ابن مسعود يأتى بعدكم أقوام يرفعون الطين ويضعون الدين ويمتطون البراذين ويصلون الى قبلتكم ويموتون على غير ملتكم وقيل ليزيد بن المهلب لم لا تبنى دارا بالبصرة فقال لانى لا أدخلها الا أميرا أو أسيرا فان كنت أميرا فدار الامارة دارى وان كنت أسيرا فالسجن مسكنى وقرارى (وكان يقال) البناء من يوم ابتدائه فى نقصان والغرس من يوم ابتدائه فى زيادة * ومر بعض الخوارج على دار تبنى فقال من هذا الذى يقيم كفيلا (وقيل) الدار الضيقة العمى الاصغر * ومن أحسن ما قيل فى التبرم بالعمارة قول بعضهم

الامن لنفس وأحزانها * ودار تداعت بحيطانها

أظل نهارى فى شمسها * شقيا بالقاء بنيانها

اسود وجهى بتبييضها * وأهدم كيسى بعمرانها

(باب مدح الحمام)

قال بعض السلف نعم البيت بيت الحمام ينقى الاقذار ويذكر النار وذكر الحمام عند الفضل الرقاشى فقال نعم البيت بيت الحمام يذهب القشافة ويعقب النظافة ويجشى التخمة ويطيب البشرة (وقالت فى المبهج) الحمام صيقل الاجسام ونظام النظافة ودافع آفة القشافة ولم يمدح الحمام كمدحه السرى حيث قال

بيت بنته حكماء الورى * فهو الى الحكمة منسوب

مجاور النار ولكنه * يجاور النار به الطيب

حر هو الروح لاجسامنا * والحر للاجسام تعذيب

(ولبعضهم) وقد دعا صديقا الى الحمام وأطنه للسرى أيضا

أسعدك هل لك فى زيارة منزل * تثنى عليه جوارح الزوار

بيت ترى الجدران فيه منابعا * وترى السماء كثيرة الانهار

(ولآخر يمدحه)

قم بنا قبل غرة الاصباح * وقيام السقاة بالاقداح

نمشي الى النعيم الذي فيه صلاح الاجسام والارواح
بيت ظرف تجول عينك فيه * بين بيض الطلا وبيض الفقاح
وتلاقى الجسوم في خلع منه رقاق على الجسوم ملاح
فاذا ماصقلت جسمك فيه * باكف النعيم صقل الصفاح
تتروى من الصبوح وتغتض نسيم الرياح قبل الصباح

(وللمؤلف في المنهج)

وحمام له حر الجحيم * ولكن شابه برد النعيم
رأيت به ثوابا في عقاب * وزارت به نعيما في جحيم

(ولابي طالب المأموني رحمه الله)

أحق بيت من بيوت الورى * بصونه قدما وايثاره
* بيت اذا مازاره زائر * وقد قضى أعظم أوطاره
وهو اذا ماجاء مستنظفا * مروءة الانسان في داره
يدخله المولى بخزكما * يدخله العبد بأطماره

(وله) وبيت كاحشاء المحب دخلته * ومالي ثياب فيه غيراهابي
أرى محرما فيه وليس بكعبة * فاسلخ الا فيه خلع ثياب
بماء كدمع الصب في حر قلبه * اذا آذنت أحبابه بذهاب
توهمت فيه قطعة من جهنم * ولكنها من غير مس عقاب
يثير ضبابا البخار محللا * بدور زجاج في شموس قباب

(باب ذم الحمام)

قال بعض السلف بئس البيت الحمام يكشف عن العورة ويذهب بالحياء وفي الخبر ان الحمام من بيوت الشياطين (ولما) مدح الرقاشي الحمام بما تقدم قيل له ذمه فقال بئس البيت بيت الحمام يهتك الاستار ويذهب الوقار ويؤلف الى الاطياب الاقذار ومن أبلغ ماقيل في ذمه قول ابن المعتز

حمامنا كالعجوز * يشقى به الوارد بيت له منتن * بيت له بارد

وقوله ماناك بالحمام حرا ولا * يصلح فيه غير تبريدما
وجدت بالصيف به رعدة * فكيف أرجو عرقا في الشتا

(ولبعضهم) وحمام دخلناه لامر * حكى سقرا وفيه المجرمونا
فيصطرخوا بقولوا أخرجونا * فان عدنا فانا ظالمونا

(وللصنوبري) حمامنا ليس فيه ماء * وبرده ماله انقضاء *
ماينفع القطن فيه شيأ * ولا اللبابيد والفراء
ترعد في الصيف فيه بردا * فصيف حمامنا شتاء
فلم نرده لدفع داء * هل يدفع الداء وهو داء

(باب مدح المال)

قد مدح الله المال وسماه خيرا بقوله تعالى كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا أي مالا وبقوله وانه لحب الخير لشديد أي المال (وروى) عن عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه أنه كان يقول حبذا المال أصون به عرضي وأقرضه ربي فيضاعفه لي وبقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة (وروى) السدي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز اسمه ويزدكم قوة الى قوتكم أي مالا الى مالكم وكان رضي الله عنه يقول قد يشرف الوضيع بالمال (ويقال) المال تكسب أهله المحبة لا مجد الا بمال ولا حمد الا بفعال (وقيل) الآمال مشغولة بالاموال (وقال) الشاعر

كل النداء اذا ناديت يخذلني * الا ندائي اذا ناديت يامالي

ولابي العتاهية قد بلونا الناس في أحوالهم * فرأيناهم بذي المال تبع
وقال آخر شيئان لا تحسن الدنيا بغيرهما * المال يصلح منه الحال والولد
زين الحياة هما لو كان غيرهما * كان الكتاب به من ربنا ترد

يعني قوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا (وكان) يقال أصل السودد والرياسة المال وبه تستجمع أسبابهما وتطرد أضدادهما وقد انقاد الناس حديثا وقديما للغني ولذلك حكى الله تعالى في أمر طالوت عن ملكه عليهم فقال ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال (وقلت) في المنهج لا موئل كالمال (وفيه) القلوب لاتستمال بمثل المال والعرض هو العرض (وفيه) مال الرجل موئله وقوته (وفيه) من أصلح ماله فقد حصل نقاء العرض وحصن بقاء العز

(باب ذم المال)

قال الله تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة (ويقال) المال ملول والمال مياف والمال غادو رائح وطبع المال كطبع الصبي لا يوقف على رضاه وسخطه (وقيل) المال لا ينفعك مالم يفارقك (وقيل) قد يكون مدل المرء سبب حتفه كما ان الطاوس قد يذبح لحسن ريشه * ومن أحسن ماقيل في هذا المعنى قول ابن المعتز

ألم تر أن المال يهلك ربه * اذا جم آتيه وسد طريقه
ومن جاور الماء الغزير بجسمه * وسد طريق الماء فهو غريقه

﴿باب مدح الغنى﴾

(قلت في المبهج) لم يكن في الغنى الا أنه من صفات الله لكفى به فضلا * ومن أبلغ ماقيل فيه أي في مدح الغنى وتفضيله على النسب قول ابن المعتز

اذا كنت ذا ثروة من غنى * فأنت المسود في العالم
وحسبك من نسب صورة * تخبر انك من آدم

(وينشد لابي الاسود الديلي في حارثة بن بدر)

وناه تميم بالغنى ان للغنى * لسانا به رب المهانة يتطق

(وقال غيره) ألم تر أن الفقر يهجر بيته * وبيت الغنى يهدى له ويزار

(وقلت في المبهج) الغنى مجل مبجل والفقر مبذل مبتذل

﴿باب ذم الغنى﴾

(قال) الله تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى وقال عز ذكره انما أموالكم وأولادكم فتنة وقال تعالى واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقال بعض المفسرين في قوله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ما جددوا لله معصية الا جددلهم نعمة ليستدرجهم بها (وقال) بعض الحكماء الغنى يورث البطر (ويقال) غنى النفس أفضل من غنى المال (وقال) الشاعر

غنى النفس ما عمرت غنى * وفقر النفس ما عمرت شقاء

﴿وقال محمود بن الوراق﴾

لا تشعرن قلبك حب الغنى * ان من العصمة أن لا تجد
كم واجد أطلق وجدانه * عنانه في بعض مالم يرد
ومد من للخمر غاد الى * سماع عود وغناء غرد

لم يجد خمرا ولا مسمعا * برد بالماء غليل الكبد
وكيد للفقر عند امرئ * طأطأ منه الفقر حتى اقتصد

﴿باب مدح الفقر﴾

كان يقال الفقر شعار الصالحين (ويقال) الفقر لباس الانبياء (وفيه) يقول البحتري

فقر كفقر الانبياء وغربة * وصبابة ليس البلاء بواحد

وكان يقال الفقر مخفف والغنى مثقل (ويقال) الفقر أخف ظهرا وأقل عددا (وكان) سفيان الثوري يقول الصبر على الفقر يعدل الجهاد في سبيل الله تعالى

﴿ومن أحسن ماقيل في مدح الفقر قول أبي العتاهية﴾

ألم تر أن الفقر يرجى له الغنى * وأن الغنى يخشى عليه من الفقر

وقال محمود الوراق يا عائب الفقر ألا تنزجر * عيب الغنى أكثر لو تعتبر
من شرف الفقر ومن فضله * على الغنى لو صح منك النظر
أنك تدعو الله تبغي الغنى * ولست تدعو الله أن تفتقر

﴿باب ذم الفقر﴾

كان يقال الفقر مجمع العيوب (ويقال) الفقر كنز البلاء (ويقال) الفقر هو الموت الاحمر (وقال) النبي عليه السلام كاد الفقر أن يكون كفرا (وكان) سعيد ابن عبد العزيز يقول ما ضرب العباد بسوط أوجع من الفقر (ومن) فصول ابن المعتز لا أدري أيهما أمر موت الغنى أم حياة الفقير (وقلت في المبهج) لا فاقرة كالفقر (وفيه) الفقر في الاذن وقر وفي الكبد عقر وفي القلب نقر وفي الجوف بقر (وينشد) لبعضهم

اذا قل مال المرء قل حياؤه * وضاقت عليه أرضه وسماؤه
وأصبح لا يدري وان كان حازما * اقدامه خيره أم وراؤه

وقال صالح بن عبد القدوس

بلوت أمور الناس سبعين حجة * وجربت صرف الدهر في العسر واليسر
فلم أر بعد الدين خيرا من الغنى * ولم أر بعد الكفر شرا من الفقر

وقال أبو أحمد اليمامي غالبت كل شديدة فغلبتها * والفقر غالبني فأصبح غالبي
ان أبده أفضح وان لم أبده * أقتل فقبح وجهه من صاحب

﴿باب مدح القناعة﴾

قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة هى القناعة وقال بعض الحكماء لابنه يابنى العبد حر اذا قنع والحر عبد اذا طمع (وكان) يقال أنت العزيز ما التحفت بالقناعة وقيل القانع بما قسم الله فى حدائق النعيم (ويقال) انخفض الخفض رضا المرء بحظه (وقال بعضهم) من لم يقنع بالقليل لم يكتف بالكثير ومن فضول ابن المعتز أعرف الناس بالله من رضى بما قسم له (وقال غيره) من قنع بماله استراح وارتاح (وقال أبو العتاهية)

ان كان لا يغنيك ما يكفيكا * فكل ما فى الارض لا يغنيكا

وقال أيضا قنع النفس بالكفاف والا * طلبت منك فوق ما يكفيها

(ولغيره) اذا شئت أن تحيا سعيدا فلا تكن * على حالة الا رضيت بدونها

ومن طلب العليا من العيش لم يزل * حقيرا وفى الدنيا أسير غبونها

(وقال غيره) اذا ما شئت أن تحيا * حياة حلوة المحيا

فلا تحسد ولا تحقد * ولا تأسف على الدنيا

﴿باب ذم القناعة﴾

(قال) بعض المهالبة من اتخذ القناعة صناعة تلحف بالحول وفاته معالى الامور (وقال) آخر القناعة من أخلاق العجائز والزمن العاجز (ويقال) البركات حيث الحركات (وقال) حكيم لابنه يابنى ان القناعة من صغر النفس وقصر الهمة وضعف الغريزة ولؤم الطبيعة فلا ترض لنفسك الا كل غاية (وقال) الرافعى من قصيدة له

رأت عزمتى وفرط انكماشى * وطول التململ فوق الفراش

* فقالت أرالك أخا همة * ستبلغها فترى ذا انتعاش

فهلا قنعت ولا تغترب * فقلت القناعة طبع المواشى

(وقال) رجل لمعروف الكرخى رحمه الله أأتحرك فى طلب الرزق أم أجرى فى طريق القناعة فقال تحرك فان الله قال لمريم وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ولو شاء الله أن ينزله عليها من غير أن تسعى فى هز النخلة لفعل وقد نظم هذا المعنى من قال

ألم تر أن الله قال لمريم * وهزى اليك الجذع يساقط الرطب

ولو شاء أن تجنيه من غير هزها * جنته ولكن كل شئ له سبب

﴿باب مدح القلة﴾

سمع سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا يقول اللهم اجعلنى من الاقلين فقال ما هذا الدعاء فقال سمعت الله يقول وقليل ما هم وقليل من عبادى الشكور وما آمن معه الا قليل (وقال) بعض العلماء ان الكثرة ليست بممدوحة فى كتاب الله عز وجل وانما الممدوح الاقلون لانا سمعنا الله يثنى على أهل القلة ويمدحهم ويذم أهل الكثرة ويوبخهم حيث يقول عز من قائل ثم توليتم الا قليلا منكم ويقول فشربوا منه الا قليلا منهم ويقول لاتبعتم الشيطان الا قليلا ويقول جل ذكره حكاية عن ابليس لاحتنكن ذريته الا قليلا ويقول جل جلاله فى ذم الكثرة ودكثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا ويقول بل أكثرهم لا يؤمنون ويقول ولكن أكثر الناس لا يشكرون ويقول منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ويقول وترى كثيرا منهم يسارعون فى الاثم والعدوان وأكلهم السحت ويقول وأكثرهم لا يعقلون ولكن أكثرهم يجهلون ويقول ولكن أكثرهم للحق كارهون ويقول وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين وقال الشاعر

تعيرنا أنا قليل عدادنا * فقلت لها ان الكرام قليل

وما ضرنا أنا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل

وقالت الفلاسفة كل كثير عدو للطبيعة وقالت الاطباء الاقلال مما يضر خير من الاكثار مما ينفع (وقال اسحق الموصلى)

هل الى نظرة اليك سبيل * فيروى الظماء ويشفى الغليل

ان ما قل منك يكثر عندى * وكثير من الحبيب القليل

(وقال) جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه لا تستحى من اعطاء القليل فكل فوائد الدنيا قليل والحرمان أقل منه (وقال) الشاعر

ليس العطاء من الفضول سماحة * حتى تجود وما لديك قليل

﴿باب ذم القلة﴾

(كان) يقال الذلة فى القلة والشرف فى السرف (وكان) قيس بن سعد بن عبادة يقول اللهم انك تعلم أن القليل لا يسعنى ولا أسعه فاكثر لى ووسع على (وقال) منصور الفقيه منافسة الفتى فيما يزول * على نقصان همته دليل

ومختار القليل أقل منه * وكل فوائد الدنيا قليل

(وقال) سرى الموصلى

قبلت على الرغم نيل البخيل * وقلت قليل أتى من قليل
تعجبت لما ابتدى بالجميل * وما كان يعرف فعل الجميل
وما كان اعطاه سودا * ولكنه غلطة من بخيل

(ويقال) من قل ذل ومن بزغز (وقال) النبى عليه السلام كونوا من السواد الاعظم

(باب مدح اللسان)

(كان) يقال ما الانسان لولا اللسان الا صورة ممثلة أو ضالة مهملة أو بهيمة مرسلة (وقال) بعض الحكماء المرء بأصغريه قلبه ولسانه ان نطق نطق ببيان وان قاتل قاتل بجنان (وقال) الجاحظ اللسان أداة يظهر به البيان وشاهد يعبر عن الضمير وحاكم يفصل بين الخطاب وناطق يرد به الجواب وشافع تدرك به الحاجة وواصف تعرف به الاشياء وواعظ ينهى عن القبيح ومبشر ترد به الاحزان ومعتذر تذهب به الاضغان وملهى يونق الاسماع وزارع يحرث المودة وحاصد يستأصل العداوة وشاكر يستوجب المزيد ومؤنس يسلى الوحشة (ويقال) المرء مخبوء تحت طى لسانه لا تحت طى لسانه (وقال) بعض العلماء البلغاء اللسان فضائل معدومة فى الجوارح ودرجته عالية على درجاتهم لما خصه الله به من النطق والبيان وأنطقه بالذكر والقرآن وأنشد

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم يبق الا صورة اللحم والدم
فكائن ترى من صامت لك معجب * زيادته أو نقصه فى التكلم

(ومن أحسن ما قيل فى اللسان والبراعة قول ابراهيم بن شاه فى أبى مسلم)

لسان محمد أمضى غرارا * وأنفذ من ظبا السيف الحسام
اذا ارتجل الكلام بداخليج * بفيه عده بحر الكلام
كلام بل مدام بل نظام * من الياقوت بل حب الغمام

وقال آخر وما المرء الا أصغريه لسانه * ومقوله والجسم خلق مصور
فان نظرة راقتك فاحذر فربما * أمر مذاق العود والعود أخضر

(اعلم) ان كمال العالم هو الانسان وكمال الانسان هو اللسان وجماله هو البيان

(نظر) رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمه العباس رضى الله عنه فتبسم فقال له مم ضحكت يا رسول الله فقال أعجبنى جمالك يا عم فقال أين موضع الجمال منى فاشار الى لسانه وقال أيضا عليه الصلاة والسلام جمال الرجل فصاحة لسانه

(باب ذم اللسان)

(كان) يقال مقتل الرجل بين فكيه وقال بعض البلغاء اللسان أجرح جوارح الانسان وقال آخر اللسان سبع صغير الجرم كبير الجرم (وكان) ابن مسعود رضى الله عنه يقول والذى لا اله الا هو ما على الارض شئ أحق بطول السجن من اللسان (قال) بعض العرب لرجل وهو يعظه فى حفظ اللسان اياك أن يضرب لسانك عنقك وقد قيل احذر لسانك أيها الانسان * لا يلدغنك انه ثعبان
كم فى المقابر من قتيل لسانه * كانت تهاب لقاءه الفرسان

(وقال أبو محمد بن اليزيدى)

حتف الفتى لسانه * فى جده ولعبه بين اللهات مسكنه * ركب فى مركبه

وقال آخر جراحات السنان لها التئام * ولا يلتام ما جرح اللسان

(وقال ابن المعتز) أيا رب ألسنة كالسيوف * تقطع أعناق أصحابها
وكم قد دهى المرء من نفسه * فلا توكان بأنيابها

(ومن أبلغ ما قيل فى عى اللسان قول بعضهم)

بين فكيه لسان * ينسب العى اليه فاذا حاول قولا * عسر القول لديه
وسواء هو فيه * أو حسام فى يديه

(باب مدح الصمت)

من حكم لقمان رحمة الله عليه الصمت حكمة وقليل فاعله (وكان) يقال الصمت أنفع للناس والسكوت أنفع للطير لان الطير اذا نبش قبض وحبس (وقال) بعض السلف الندم على الصمت خير من الندم على القول * ومن فصول ابن المعتز من أخافه الكلام أجاره الصمت وقال أيضا الخطأ بالصمت يختم والخطل بمثله لا يكتم (وقال آخر)

الصمت يكسب أهله * صدق المودة والمحبه * والقول يستدعى لصا
حبه المذمة والمسبه * فاترك كلاما لاغيا * ولا يكن لك فيه رغبه

(وقيل) أربع كلمات صدرت عن أربعة ملوك كأنما رميت عن قوس واحدة * قال

كسرى لم أندم على مالم أقل وندمت على ماقلت مرارا وقال قيصر انى على ردمالم أقل أقدر منى على ردماقلت * وقال ملك الصين اذا تكلمت بكلمة ملكتنى واذا لم أتكلم بها ملكتها * وقال ملك الهند عجبت لمن يتكلم بالكلمة ان رفعت ضرته وان لم ترفع مانفعته ويقال من سكت فسلم كان كمن تكلم فغنم (ويقال) من علامات العاقل حسن سمته وطول صمته (وقال) بعض الحكماء أول العلم الصمت والثانى حسن الاستماع والثالث الحفظ والرابع العمل به والخامس نشره وقيل من حفظ لسانه نجا من الشر كله

(نظم) ولو يكون القول فى القياس * من فضة بيضاء عند الناس
اذا لكان الصمت من خير الذهب * فاسمع هداك الله تلخيص الادب

(وقال آخر) والصمت عند القبيح تسمعه * صاحب صدق لكل مصطحب
فآثر الصمت ما استطعت فقد * يؤثر قول الحكيم فى الكتب
لو كان بعض الكلام من ورق * لكان جل السكوت من ذهب

وقال آخر مت بداء الصمت خير * لك من داء الكلام
انما العاقل من ألجم فاه بلجام *
(وفى كتاب عيون الآداب بيت)
كلام راعى الكلام قوت * قد أفلح الصامت السكوت

(وقال) ابن مسعود ماشئ أحق بطول السجن من اللسان (وقال) بعضهم اذا أعجبك الكلام فاصمت وقيل
احفظ لسانك ان اللسان * سريع الى المرء فى قتله
وهذا اللسان بريد الفؤاد * يدل الرجال على عقله

(وقال آخر) ان كان يعجبك السكوت فانه * قد كان يعجب قبلك الاخيارا
ولئن ندمت على سكوت مرة * فلقد ندمت على الكلام مرارا
ان السكوت سلامة ولربما * زرع الكلام عداوة وضرارا

(باب ذم الصمت)

قال رجل بين يدى عمر رضى الله عنه الصمت مفتاح السلامة فقال نعم ولكنه قفل الفهم وكان يقال من تكلم فأحسن قدر أن يسكت فيحسن (وقال) بعض الفلاسفة الصمت نتيجة الموت كما أن المنطق نتيجة الحياة (وقال) النبى صلى الله عليه وسلم

تكلموا تعرفوا ولم يقل اسكتوا تعرفوا (وقال) الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام وعن الملك فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين ولم يقل فلما سكت عنده (وقال آخر) أخزى الله المساكنة فما أسوأ أثرها على اللسان وأجلبها للعى والحصر الى الانسان وقال بعض الحكماء انك تمدح الصمت بالمنطق ولا تمدح المنطق بالصمت وما عبر به عن شئ فهو أفضل ويقال اللسان عضو فان مرنته مرن وان تركته حرن

(باب مدح الصبر)

قال النبى صلى الله عليه وسلم لم يؤت الناس خيرا من الصبر والمعافاة (وقال) أيضا عليه السلام لم نزل نستزيد للصابرين حتى نزلت انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب (وقال) عليه السلام عليكم بالصبر فانه لا ايمان لمن لا صبر له (وقال) أيضا الصبر ثلاثة صبر على المصيبة وصبر على الطاعة وصبر على المعصية شعر

تصبر ولا تبد التضعضع للعدا * ولو قطعت فى الجسم منك البواتر
سرور الاعادى ان ترالك بذلة * ولكنها تغتم اذ أنت صابر

ولبعضهم بنى الله للاخيار بيتا سماؤه * هموم وأحزان وحيطانه الضر
وأدخلهم فيه وأغلق بابه * وقال لهم مفتاح بابكم الصبر

وكان ينشد انى وجدت وخير القول أصدقه * للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد فى أمر يحاوله * فاستصحب الصبر الا فاز بالظفر

وقال آخر عليك بالصبر فيما قد منيت به * فالصبر يذهب مافى الصدر من حرج
كم ليلة من غموم الدهر مظلمة * قد ضاء من بعدها صبح من الفرج

وقال آخر تصبر اذا ما آلمتك ملمة * وأهون بها مالم تسمك بعار
فغب قطوب النحس بشر سعادة * وبعد ظلام الليل نور نهار

وفى بعض الاخبار الصبر نصف الايمان واليقين الايمان كله وقال آخر
اذا المرء لم يأخذ من الصبر حظه * تقطع من أسبابه كل مبرم

ويقال أوكد الاسباب للظفر الصبر (وقال) بعض العلماء الصبر جنة المؤمن وعزيمة المتوكل وسبب درك النجح فى الحوائج ويقال من وطن نفسه على الصبر لم يجد للاذى مسا (وقال) النبى صلى الله عليه وسلم من استعف بالله عفه ومن استعان به أعانه ولن تجدوا حظا خيرا من الصبر (وقال الشاعر)

قرين الصبر يظفر بعد حين * بحاجته فلو جد قد قضاها

(وقال) المهلب يا بنى ان غلبتم على الظفر فلا تغلبوا على الصبر

(وقال آخر) من عمّط الصبر يضع رحله * بساحة الراحة واليسر

(وقال محمود) الصبر أمضى سلاح ذى الادب * فاقرع به حد سورة الارب

(وقال) الله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة (وقال) عز اسمه وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا (وقال) عز من قائل وبشر الصابرين الآية وكان الحسن البصرى يقول انى لاعجب ممن خف كيف خف بعد هذه الآية وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا (وقال) عمر بن عبد العزيز ما أنعم الله على عبد نعمة فنزعها عنه فصبر الا كان ما أعاضه أفضل مما انتزعه عنه ثم قرأ انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب (وقال) بعض الحكماء الصبر صبران صبر عما تحب وصبر على ما تكره والرجل من جمع بينهما * وقالت فى المنهج الصبر أنجى بذى الحجج (وقال) حكيم تابع الصبر متبوع النصر (وقال الشاعر)

ما أحسن الصبر فى مواطنه * والصبر فى كل موطن حسن

(وقال ابن الجهم)

وعاقبة الصبر الجميل جميلة * وأفضل أخلاق الرجال التفضل

ويقال الصبر كاسمه وعاقبته العسل

(باب ذم الصبر)

الصبر كاسمه ويقال الصبر تجرع الغصة وانتظار الفرصة وأنشد

وانى لادرى أن فى الصبر راحة * ولكن انفاقى على الصبر من عمرى

يقولون لى صبرا لتحمد غبه * فقلت لهم ليس الصبر من أمرى

وقال البرقعى من جد الصبر وحالاته * فلست بالحامد للصبر

كم جرعة للصبر جرعتها * أمر فى الذوق من الصبر * صبرت حتى قيل لى جاهل

لا يعرف الخير من الشر * انى اذا الدهر نابنوبة * أصبر للدهر من الدهر

(وقال أبو القاسم بن علاء الاصفهانى)

فان قيل لى صبرا فلا صبر للذى * غدا بيد الايام تقتله صبرا

وان قيل لى عذرا فوالله ما أرى * لمن ملك الدنيا اذا لم يجد عذرا

(باب مدح الحلم)

كان يقال الحلم حجاب الآفات (وقال) حكيم حلم ساعة يرد سبعين آفة (وقال) بعض السلف الحلم أجل من العقل لان الله تعالى وصف نفسه به وقيل حسب الحليم ان الناس أنصاره على الجاهل ومن ملك غضبه احترز من عدوه (وقال) الحسن رحمة الله عليه ما بعث الله نبيا الى قوم الا بعثه وأمره بالحلم وكان الاحنف يقول ما أضيف شئ الى شئ أحسن من علم الى حلم (وكان) يقول من لم يصبر على كلمة واحدة سمع كلمات (ومن أحسن ما قيل فى الحلم قول الشاعر)

لن يبلغ المجد أقوام وان كرموا * حتى يذلوا وان عزوا لاقوام

ويشتموا فترى الالوان مشرقة * لا عفو ذل ولكن عفو احلام

(باب ذم الحلم)

كان يقال من عرف بالحلم كثرت الجراءة عليه (وقال) بعض السلف الحلم ذل كله (وقال) السفاح اذا كان الحلم مفسدة كان العفو معجزة وقال الشاعر

أرى الحلم فى بعض المواطن ذلة * وفى بعضها عزا يسود فاعله

وقاتل الاحنف قتالا شديدا فى بعض المواطن فقيل له أين الحلم يا أبا بحر فقال عند الحياء وكان يقال آفة الحلم الضعف * ومن أحسن ما قيل فى هذا الباب قول النابغة الجعدى

ولا خير فى حلم اذا لم تكن له * بوادر تحمى صفوه أن يكدرا

ولا خير فى جهل اذا لم يكن له * أديب اذا ما أورد الامر أصدرا

(وقال محمد بن وهب)

لئن كنت محتاجا الى الحلم انني * الى الجهل فى بعض الاحايين أحوج

ولى فرس للحلم بالحلم ملجم * ولى فرس للجهل بالجهل مسرج

فمن شاء تقويمى فانى مقوم * ومن رام تعويجى فانى معوج

(وأحسن ما سمعت فى هذا الباب ما قيل)

أتانى منك ما ليس * على مكروهه صبر * فاغضيت على عمد

وقد يغضى الفتى الحر * وأدبتك بالهجر * فما أدبك الهجر

ولا ردك عما كا * ن منك الصفح والزجر * فلما اضطرنى المكرو

ه واستدبى الامر * تناولتك من سرى * بما ليس له قدر

فحركت جناح الذل لما مسك الضر * اذا لم يصلح الخير امرأ أصلحه الشر

قد شذ فى الاصل منه بيت قال الشيخ الامام البيت الاخير من قول الحسن وهو أنه قيل له ان عند نار جلا اذا قيل له جزاك الله خيرا يغضب فقال من لا يصلحه الخير أصلحه الشر

(باب مدح المشورة)

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال المستشار بالخيار ان شاء قال وان شاء سكت (وقال) عليه الصلاة والسلام أيضا المستشار مؤتمن (وقال) الحسن البصرى ان الله تعالى أمر نبيه عليه السلام بالمشورة لا من حاجة منه الى آرائهم وانما أراد عز اسمه أن يعلمنا ما فى المشورة من الفضيلة حيث قال وشاورهم فى الامر يعنى ان الانسان لا يستغنى عن مشورة تصحح له كما أن القوادم من ريش الجناح تستعين بالخوافى منه (قال بشار)

اذا بلغ الرأى المشورة فاستعن * بحزم نصيح أو نصاحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة * فريش الخوافى تابع للقوادم

(قال الاصمعى) قلت لبشار رأيت رجال الرأى يتعجبون من أبياتك فى المشورة فقال أوما علمت أن المشاور بين احدى الحسنيين صواب يفوز بثمرته أو خطأ يشاركك فى مكروهه فقلت له أنت والله فى هذا الكلام أشعر منك فى شعرك (وقال) الجاحظ المشورة لقاح العقول ورائد الصواب والمستشير على طرف النجاح واستنارة المرء برأى أخيه من عزم الامور وحزم التدبير وقد أمر الله تعالى أكمل الخلق لبا وأولاهم بالاصابة عزما فقال لرسوله الكريم عليه السلام فى كتابه الكريم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله (وقال) حكيم اذا شاورت العاقل صار عقله لك * ويقال أول الحزم المشورة (وقال) العتبى المشورة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه (وقال) ابن المعتز المشورة راحة لك وتعب لغيرك (وقال) أيضا من أكثر المشورة لم يعدم عند الصواب مادحا وعند الخطأ عاذرا وقلت فى المعنى سمع ثمرة رأى الاديب المشير أحلى من رأى المشور (ولبعضهم) لا تشاور الجائع حتى يشبع ولا الغضبان حتى يهجع ولا الاسير حتى يطلق ولا المضل حتى يجد ولا الراغب حتى ينجح (وقال) بعض الحكماء ما خاب من استشار ولا ندم من استخار (وقال) صالح بن عبد القدوس

ومن الرجال من استوت احلامهم * من يستشار اذا استشير فيطلق

حتى يجول بكل واد قابه * فيرى الصواب بها يشير فينطق
ان الاديب اذا تفكر لم يكد * يخفى عليه من الامور الاوفق
فهنالك تشعب ما تفاقم صدعه * وبدالك ترتق كل أمر يفتق
واذا استشرت ذوى العقول فخيرهم * عند المشورة من يحن ويشفق

(وكان) يقال نصف عقلك مع أخيك فاستشره (وكان) يقال ما استنبط الصواب بمثل المشورة ولا اكتسبت النعم بمثل المواساة ولا اكتسبت البغضة بمثل الكبر (وكان) يقال لا يستقيم الملك بالشركاء ولا يستقيم الرأى بالتفرد به (وقيل) شاور قبل أن تقدم (وقال) عبد الملك بن مروان لان اخطئ وقد استشرت أحب الى من أن أصيب وقد استبددت برأيى من غير مشورة (وقال) سليمان بن داود عليهما السلام لابنه لا تقطعن أمرا حتى تشاور مرشدا فانك اذا فعلت ذلك لم تحزن عليه (وقيل) للنبى عليه الصلاة والسلام ما الحزم قال أن تستشير ذا الرأى وتطيع أمره (وقال) عليه الصلاة والسلام لم يهلك امرؤ عن مشورة (وقيل) مكتوب فى التوراة من ملك استأثر ومن لم يستشر يندم والحاجة الموت الاكبر والهم نصف الهرم وقال الشاعر

نصحت لذى جهل وقلت لعله * ينحى له من نومه يتنبه
فما نجعت فيه النصائح مضجعا * وهل يبرئ الكهمان من هو أكمه

(باب ذم المشورة)

كان عبد الملك بن صالح يقول ما استشرت أحدا قط الا تكبر على وتصاغرت له ودخلته العزة ودخلتنى الذلة فاياك والمشاورة وان ضاقت بك المذاهب واشتبهت عليك المسارب واداك فرط الاستبداد الى الخطأ والفساد (وكان) عبد الله بن طاهر يقول ما حك ظهرى مثل ظفرى ولان أخطئ مع الاستبداد ألف خطأ أحب الى من أن أرى بعين النقص عند المستشار

(باب مدح التانى)

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا الآية يعنى فتثبتوا وهو أبين وقال حكيم ينبغى للوالى أن يتثبت فيما أنهى اليه ولا يتعجل وينتانى ويتمهل حتى ينظر ويستكشف الحال ويأخذ بأدب سليمان عليه السلام حيث قال ستنظر

أصدقت أم كنت من الكاذبين وفى الخبر التأنى من الله والعجلة من الشيطان ويقال الاناة حصن السلامة والعجلة مفتاح الندامة وقيل التأنى مع الخيبة خير من العجلة مع النجاح (وقال) آخر التأنى فى الامور أول الحزم والتسرع اليها عين الجهل وقال النابغة الرفق يمن والاناة سعادة * فتأن فى أمر تلاقى نجاحا

وقال القطامى قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

(ويقال) اتئد تصب أو تكد يعنى ارفق لتدرك الصواب أو تقرب أن تدركه (قال) النبى عليه الصلاة والسلام من تأنى أصاب أو كاد ومن تعجل أخطأ أو كاد

(باب ذم التأنى)

كان يقال اياكم والتأنى فى الامور فان الفرص تمر مر السحاب (وقال) ابن عائشة القرشى الفلك أجدر من أن يحتمل معه التأنى والتثبت وخير الخير أعجله ويقال الآفات فى التأخيرات (وقيل) لابى العيناء لا تعجل فان العجلة من الشيطان فقال لو كانت العجلة من الشيطان لما قال كليم الله عليه الصلاة والسلام وعجلت اليك رب لترضى (وقال) القطامى بعد قوله قد يدرك المتأنى البيت

وربما فات قوما بعض نجحهم * من التأنى وكان الحزم لو عجلوا

(وأحسن منه قول ابن الرومى)

عيب الاناة وان كانت مباركة * أن لا خلود وأن ليس الفتى الحجر

وقال ابن المعتز وان فرصة أمكنت فى العدا * فلا تبد فعلك الا بها

فان لم تلج بابها مسرعا * أتاك عدوك من بابها

واياك من ندم بعدها * وتأميل أخرى وأنى بها

(وقال محمد بن بشير)

كم من مضيع فرصة قد أمكنت * لعدو ليس غدله بموات

حتى اذا فاتت وفات طلابها * ذهبت عليها نفسه حسرات

(باب مدح الوحدة والعزلة)

كان يقال الوحدة خير من جليس السوء (ويقال) العزلة من الناس تقى العرض وتبقى الجلالة وتستر الفاقة وترفع مؤنة المكافأة فى الحقوق الواجبة (وقال) الشاعر

كن لقعر البيت حلسا * وارض بالوحدة أنسا

لست بالواجد خلا * أو ترد اليوم أمسا

(وأنشدنى) ميمون بن سهل الواسطى قال انشدنى القاضى أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى لنفسه

ما تطعمت لذة العيش حتى * سرت فى وحدتى لكنى جليسا

انما الذل فى مداخلة الناس فدعها وكن كريما رئيسا

ليس عندى شئ أجل من العلم فلا أبتغى سواه أنيسا

(وقال) مكحول ان كان الفضل فى الجماعة فان السلامة فى الوحدة والعزلة * ومن أحسن ما قيل فى هذا الباب قول منصور بن اسمعيل المصرى

الناس بحر عميق * والبعد عنهم سفينه

وقد نصحتك فانظر * لنفسك المسكينه

(ولبعضهم) الناس داء دفين * لا تركنن اليهم

فيهم خداع ومكر * لو اطلعت عليهم

(وأنشدنى) البستى لابى سليمان الخطابى

قد أولع الناس بالتلاقى * والمرء صب الى مناه

وانما منهم صديقى * من لا يرانى ولا أراه

وله أيضا اذا خلوت صفا ذهنى وعارضنى * خواطر كطراز البرق فى الظلم

فان توالى صياح الناعقين على * اذنى عرتنى منه حكة الحجم

(ومن) أحسن ما قيل فى الانفراد قول أبى هيان

ان أمس منفردا فالليث منفرد * والبدر منفرد والسيف منفرد

وقلت فى المبهج من لزم الخلوة بربه حصل فى العيش الامتع والحمى الامنع (وقال) أبو العتاهية وحدة الانسان خير * من جليس السوء عنده

وجليس الخير خير * من جلوس المرء وحده

(باب ذم الوحدة)

قيل الوحدة وحشة والوحدة قبر الحى (وفى) الخبر الشيطان مع الواحد وهو عن الاثنين أبعد ويد الله مع الجماعة (ولحاتم الطائى وهو مما يتمثل به)

اذا لزم الناس البيوت رأيتهم * عميات عن الاخبار خرق المكاسب

(ويقال) اياكم والعزلة فان فى لقاء الناس معتبرا نافعا ومتعظا واسعا ومجالسة الناس تجلو البصر وتطرد الفكر (ويقال) الانقباض من الناس مكسبة للعداوة (وقال) بعض الحكماء اياكم والخلوات فانها تفسد العقول وتحل المعقود وتعقد المحلول (وقال) آخر البيت رمس مالزمته والهم زمانة ماسلطته ولابى تمام فى معناه بعينه

وراكد الهم كالزمانة * والبيت اذا لزمته رمس

(باب مدح الشجاعة)

فى الخبر ان الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية أو عقرب (وكتب) أنوشروان الى وكلائه عليكم بأهل الشجاعة والسخاء فانهم أهل حسن الظن بالله تعالى (وكان) يقال الشجاع موقى والجبان ملقى (ويقال) الشجاع محبب حتى الى عدوه والجبان مبغض حتى الى أمه وقال بعض الحكماء قوة النفس أبلغ من قوة الجسد (وقال) الشاعر يفر الجبان من أبيه وأمه * ويحمى شجاع القوم من لا يناسبه

(ولما قال أبو الطيب المتنبى)

يرى الجبناء ان العجز عقل * وتلك خديعة الطبع اللئيم
وكل شجاعة فى المرء تغنى * ولا مثل الشجاعة فى الحكيم

قيل له أنى يكون الشجاع حكيما وهما على طرفى نقيض قال هذا على بن أبى طالب رضى الله عنه (وكان يقال) خيفة العاقبة تورث جبنا والشجاعة حسن الظن وكان خالد بن الوليد رضى الله عنه يقول ما ليلة أقر لعينى من ليلة يهدى الى فيها عروس الا ليلة أغدو فيها القتال العدو (وكان) حصين بن المنذر صاحب راية أمير المؤمنين على ابن أبى طالب كرم الله وجهه يقول ابتذال الانفس فى الحرب أبقى لها اذا أخرفى الآجال (وقيل) لعباد بن الحصين فى أى جنة تحب أن تلقى عدوك قال فى أجل مستأخر (وكان يقال) ان بنى هاشم شجعان قريش وأسخياء قريش أجمع أهل الاسلام على انه لم يكن فارس فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشجع من على بن أبى طالب رضى الله عنه (وقيل) لا يصدق فى القتال الا ثلاثة مستنصر فى دين أو غيران على النساء أو ممتهن من ذل

(باب ذم الشجاعة)

قيل انه روى عن شيخ كبير وقد تأخر عن الصف فى الحرب واستعد للهرب فقيل له مالك غير شجاع فقال لو كنت شجاعا ما بلغت هذا السن (وقيل) ما فى الدنيا شجاع

الا مغرور ولا جبان الا محترز (وقال) بعض الجبناء من أراد السلامة فليدع الشجاعة وقال آخر يقال فر أخزاه الله خير من قتل رحمه الله هو كقولهم رهبوت خير من رحموت (ويقال) الفرار فى وقته ظفر وقال محمد بن أبى حمزة العقيلى مولى الانصار

ظلت تشجعنى هند وقد علمت * ان الشجاعة مقرون بها العطب
ياهند لا والذى حج الحجيج له * لا يشتهى الموت عندى من له أدب

وهذا أحسن ما قيل فى مدح الجبن وقال بعضهم الشجاعة تغرير والتغرير مفتاح البؤس

(باب مدح الجود)

فى الخبر ان الله تبارك وتعالى يحب الجواد لانه جواد كريم (وفيه) أيضا الجود من أخلاق أهل الجنة ويقال الجود غاية الزهد والزهد غاية الجود (وقال) غيره الجود أن تكون بمالك متبرعا وعن مال غيرك متورعا (وقال) على بن عبد الله الناس فى الدنيا الاسخياء وفى الآخرة الاتقياء وكان خالد بن عبد الله القشيرى يقول تنافسوا فى المغانم وسارعوا الى المكارم واكتسبوا بالجود حمدا ولا تكتسبوا بالمال ذما ولا تعدوا بمعروف لم تعجلوه واعلموا أن حوائج الناس نعمة من الله عليكم فلا تملوها فتعود نقما وقال الشاعر لا تزهدن فى اصطناع العرف تفعله * ان الذى يحرم المعروف محروم

(وقال آخر) من غير الكتاب الاصلى

ستلقى الذى قدمت للنفس محضرا * فانت بما تأنى من الخير أسعد

(وقال) طلحة بن عبد الله انا لنجد بأسا والنا ما يجد البخلاء ولكنا نصبر (وقال) العتابى من منع الحمد ماله ورثه من لا يحمده عليه وكان يقال رب فاجر فى دينه أخرق فى معيشته دخل الجنة بسماحته (وقال) العتابى ثواب الجود ثلاثة خلف ومحبة ومكافأة وثواب البخل مثلها تلف ومذمة وحرمان (وكتب) الحسن بن على الى أخيه رضى الله عنهم يعتب عليه فى اعطاء الشعراء فأجابه خير المال ما وقى به العرض (وقال) غيره الجود أشرف الاخلاق وأنفس الاعلاق (وقال) ابن المعتز الجود حارس العرض من الذم (وقال) آخر الاسخياء يعبدهم المال والبخلاء يعبدونه (وقال) بعض السلف لو كان شئ يشبه الربوبية لقلت الجود (ويقال) من جاد ساد ومن بخل رذل (وقال) عمر رضى الله عنه السيد الجواد حين يسأل وقال أبو نواس

أنت للمال اذا أمسكته * فاذا أنفقته فالمال لك

(وابعضهم) ياغافلا من حركات الفلك * نبهك الله فما أغفلك
مالك للغير اذا صنته * وكل ما أنفقته فهو لك

ولسيدنا عمر بن عبد العزيز لما لامه على الكرم

مالي على حرام ان بخلت به * وصاحب البخل بين الناس مذموم
مالي أشح بمال لست أملكه * والمال بعدي اذا مامت مقسوم
لابارك الله في مال أخلفه * للوارثين وعرضي فيه مشتوم

(ولبعضهم)

مات الكرام وولوا وانقضوا ومضوا * ومات في اثرهم تلك الكرامات
وخلفوني في قوم ذوي سفه * لو عاينوا طيف ضيف في الكرى ماتوا

(وفي) كتاب عيون الآداب روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أشد الاعمال ثلاثة انصاف الناس من نفسك ومواساة الاخ في مالك وذكر الله على كل حال (وقال) بعض العلماء من أيقن بالخلف جاد بالعطية أتى النبي صلى الله عليه وسلم باسارى فامر بقتلهم وأفرد رجلا منهم فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يارسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا أفرد من بينهم فقال نزل علي جبريل عليه السلام فقال أقتل هؤلاء واترك هذا فان الله شكر له سخاء فيه (وقال) بعض الانبياء لابليس من أحب الناس اليك قال عابد بخيل قال فمن أبغض الناس اليك فقال فاسق سخي قال كيف ذلك قال لاني لا أرجو أن يقبل الله عبادته لبخله ولا آمن أن يطلع الله على العبد الفاسق فيرى بعض سخائه فيتجيه و يرجه

(باب ذم الجود)

قال بعض الحكماء من جاد بماله جاد بنفسه لانه جاد بما لا قوام له الا به (وكان) أبو الاسود الدؤلي يقول لا تجاودوا الله فانه أجود وأمجد ولو شاء أن يوسع على خلقه حتى لا يكون فيهم محتاج لفعل (وكان) يقول لو جدنا على المساكين باعطائهم ما يسألوننا لكنا أسوأ حالا منهم وكان علي بن الجهم يقول من وهب المال في عمله فهو أحمق ومن وهبه بعد العزل فهو مجنون ومن وهبه من جوائز السلطان أو ميراث لم يتعب فيه فهو مخذول ومن وهبه من كسبه وما استفاده بحيله فهو المطبوع على قلبه (وقال) محمد ابن الجهم اتركوا الجود للملوك فانه لا يليق الا بهم ولا يصلح الا لهم ومن عارضهم في ذلك

وافتقر وافتضح فلا يلومن الا نفسه (وكان) ابن المقفع يقول ان مالك لا يعم الناس فاخصص به ذوي الحق (ومن) أحسن ما قيل في تحسين البخل قول ابن المعتز

يارب جود حر فقر امرئ * فقام في الناس مقام الذليل
فاشدد عرى مالك واستبقه * فالبخل خير من سؤال البخيل

وقول أبي الفتح البستي

اشفق على الدرهم والعين * تسلم من الغيبة والدين
قوة العين بانسانها * وقوة الانسان بالعين

(وقول) عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر

في كل شئ سرف * يكره حتى في الكرم ولربما ألفان لا * أفضل من ألفي نعم

(وكان) الكندي يقول قول لا يدفع البلا وقول نعم يزيل النعم

(باب مدح البخل)

من أمثال العرب الشحيح عذر من الظالم ومن أمثال العجم منع الجميع أرضى للجميع وقال بعضهم عجبت لمن سمى القصد بخلا وسمى السرف جودا وقال آخر حفظ مافي يدك خير من طلب الفضل من أيدي الناس (وقال) صالح بن عبد القدوس

لا تجد بالعطاء في غير حق * ليس في منع غير ذي الحق بخل

وقال آخر اذا قبح السؤال حسن المنع وقال المتلمس

لحفظ المال خير من عطاه * وسعي في البلاد بغير زاد
واصلاح القليل يزيد فيه * ولا يبقى الكثير مع الفساد

(ومما) يليق بهذا الباب قول الله تعالى لنبيه من لطف العتاب ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين

(باب ذم البخل)

قال الشعبي ما أفلح بخيل قط أما سمعتم قول الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقال المأمون لمحمد بن عبد الله المهلبي بلغني أنك متلاف فقال يا أمير المؤمنين منع الجود سوء ظن بالمعبود وهو تعالى يقول وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين و يقال البخيل أبدا ذليل و يقال لامرأة لبخيل و يقال شر أخلاق الرجال البخل والجبن وهما من أخلاق النساء (وقال) الجاحظ البخل والجبن غريزة واحدة

يجمعهما سوء الظن بالله وقال غيره البخل يهدم مباني الكرم (وقال) ابن المعتز بشر مال البخيل بحادث أو وراث وقال أيضا أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه وقال الشاعر

وغيظ البخيل على من يجود * لا عجب عندي من بخله

ومن أمثال العرب هو يحسد أن يفضل و يزهد أن يفضل (ومن) قولهم هو يمنع درة ودر غيره و يحسد أن يعطى و يزهد أن يعطى وقال بعض الشعراء

ليس البخيل بالخل بخيره * لكن من من بخير غيره

وقال الشاعر لا يسود امرؤ بخيل ولو * مس بيافوخه عنان السما

(وقال) بعض السلف لم ينطق القرآن في ذم البخيل الا بقوله ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة لكفى وهو أبلغ البلاغ في تهجينه وأنهى النهي عن ايثاره (وقال) الله تعالى فيمن يبخل و يأمر بالبخل الذين يبخلون و يامرون الناس بالبخل و يكتمون ما آتاهم الله من فضله قال ابن مسعود في قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة يطوق بثعبان فينقر رأسه ثم ينطوي في عنقه فيقول أنا مالك الذي بخلت بي وقال بعضهم قد ذم الله من يمنع خيره و يأمر بالبخل غيره فاياك أن تكون اياه

(باب مدح الحقد)

قال يحيى بن خالد البرمكي لعبد الملك بن صالح الهاشمي في كلام جرى بينهما أنت حقود فقال ان كنت تريد ببقاء الخير والشر عندي فانا كذلك (و يقال) انه قال له أنا خزانة تجمع الخير والشر فقال يحيى هذا والله جبل قريش وما رأيت أحدا يمدح الحقد و يحسنه غيره بمثل هذا (وقد) أخذ معناه ابن الرومي وزاد فيه وحسنه فقال

وما الحقد الا توأم الشكر للفتى * و بعض السجايا ينتسبن الى بعض

اذا الارض كرت كل ما أنت زارع * من البذر فيها فهي ناهيك من أرض

(باب ذم الحقد)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الذنوب عند الله الحسد والحاسد مضاد لنعمة الله خارج عن أمر الله تارك لعهد الله (وقال) عز وجل ومن شر حاسد اذا حسد وأمر رسول الله أن يستعيذ به من شره (وقال) معاوية رضي الله عنه كل انسان أقدر ان أرضيه الا حاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها (وقال) عمر بن عبد العزيز ما رأيت ظالما

أشبه بمظلوم من حاسد غم دائم ونفس متتابع (وقال) الشاعر

ان الحسود المظلوم في كرب * يخاله من يراه مظلوما

من نفس دائم على نفس * يظهر منه ما كان مكتوما

قال الشيخ الامام أنشدني أبو منصور القوشنجي لنفسه في هذا المعنى

قالوا يقود سعيد * جيشا لهم و يسود * وكيف ذاك وأنى

وهو الحقود الحسود * ولا يسود حسود * ولا يقود حقود

كان يقال الحقد داء دوي (و يقال) من كثر حقده دوى قلبه و يقال الحقد مفتاح كل شر و يقال حل عقد الحقد ينتظم لك عقد الود و يقال الحقود والحسود لا يسودان وقال آخر لما عفوت ولم أحقد على أحد * أرحت نفسي من غم العداوات

(و يقال) لا يوجد الخجول محمودا ولا المغضوب مسرورا ولا الحريص سالما ولا الكريم حسودا ولا الشره غنيا ولا الملول ذا اخوان (وقال) بعض الحكماء وجدت أول الاشياء منفعة وأضرها لها في العاقبة الحاجة و وجدت أنكر العيش عيش الحسود

(وقال) الشاعر لا يحزنك فقر ان عرا لك ولا * تتبع أخا لك في مال له حسدا

فانه في رخاء في معيشته * وأنت تلقى بذاك الهم والنكدا

(وقال آخر) اذا ما المرء كان لنا حسودا * فاف لذاك من باغ حسود

(باب مدح الحياء)

مما أدركه الناس من كلام النبوة الحياء شعبة من الايمان وفيه أيضا الحياء خير كله فاذا لم تستح فافعل ما شئت (وقال) الشاعر

اذا لم تخش عاقبة الليالي * ولم تستحي فافعل ما تشاء

فلا وأبيك ما في العيش خير * ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

(وفي) الخبر ان الله يحب الحيي المتعفف و يبغض الوقح الملحف (وقال) الحكيم الحياء سبب كل جميل (و يقال) من كساه الحياء ثوبه ستر عن العيون عيبه (و يقال) الحياء والايمان مقرونان في قرن فاذا ارتفع أحدهما ارتفع الآخر (وقيل) لبنت ارسطاطاليس ما أحسن ما في المرأة قالت الحمرة التي تعلو وجهها من الحياء (وقال) بعضهم أكثر الناس حياء من كان الذم أشد عليه من الفقر

(باب ذم الحياء)

كان يقال الحياء يمنع الرزق وفى أمثال العامة من استحيا من ابنة عمه ولد له فى الآخرة وقال على رضى الله عنه قرنت الهيبة بالخيبة والحياء بالحرمان (وقال) بعض المجربين استعينوا على قضاء حوائجكم بالوقاحة والابرام (وقال) غيره هذا زمان نكد عسر ليس الوقح المبرم ينجح فيه فكيف الحيي المخفف (ويروى) هذا زمان نكد لا ينجح فيه الوقح المتكفف فكيف الحيي المتعفف وقال الشاعر

ليس للحاجات الا * من له وجه وقاح ولسان ذو فضول * وغدو ورواح

ومن غير الاصل ما أملاه الشيخ الامام المقدسي من مسموعاته الى آخر الباب (وقال) أبو القاسم الحريش

سألت زماني وهو بالجهل عالم * وبالسخف مهتز وبالنقص مختص

فقلت له كيف الطريق الى الغنى * فقال طريقان الوقاحة والنقص

(ومما) سمع منه أيضا قال الوقاحة كالقداحة بها يستفز اللهب ويشتعل الحطب

(باب مدح الاخوان والاصحاب)

في الخبر المرء كثير باخيه ويقال الرجل بلا اخوان كالشمال بلا يمين ويقال من اتخذ اخوانا كثر اله أعوانا وقيل أعجز الناس من فرط فى طلب الاخوان وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم (وقال) المغيرة بن شعبة التارك للاخوان متروك (وقال) شبيب بن شبة عليك بالاخوان فانهم زينة فى الرخاء وعدة عند البلاء وقال الشاعر

تكثر من الاخوان ما استطعت انهم * عماد اذا استجددتهم وظهير

وما بكثير ألف خل وصاحب * وان عدوا واحد لكثير

وقال اسمعيل بن صبيح الود أعطف من الرحم وقال العتبي لقاء الاخوان نزهة القلوب (وقال) ابن عائشة لقرشي مجالسة الاخوان مسلاة للاحزان وقال سعيد بن مسلم ان فى لقاء الاخوان لغنما وان قل وقال سليم بن وهب غزل المودة أرق من غزل الصبابة والنفس بالصديق آنس منها بالعشيق (وقال) يونس النحوي يستحسن الصبر عن كل أحد الا عن الصديق وقال محمد بن يوسف من أكثر من أصدقائه ركب أعناق أعدائه وقال القطامي

واذا تصبك من الحوادث محنة * فالجأ بها نحو الصديق الاوثق

وقال السندي الصديق انسان هو أنت الا انه غيرك وقال المأمون الاخوان ثلاث

طبقات طبقة كالغذاء وطبقة كالدواء وطبقة كالداء فالغذاء لا يستغنى عنه أبدا والدواء يحتاج اليه أحيانا والداء لا يحتاج اليه بحال وقال ابن المغيرة اذا قدمت المودة تشبهت بالقرابة وقال الشاعر

لعمرك ما مال الفتى بذخيرة * ولكن اخوان الثقاة الذخائر

(وقال أبو تمام) ذوالود مني وذو القربى بمنزلة * واخواتي اسوة عندي واخواني

عصابة جاورت آدابهم أدبي * فهم وان فرقوا في الارض جيراني

أرواحنا في مكان واحد وغدت * أبداننا بشآم أو خراسان

وقلت في المبهج الصديق الصدوق ثاني النفس وثالث العينين ومنه الصديق الصدوق كالشقيق الشفوق ومنه الصديق عمدة الصديق وعدته ونصرته وعقدته وربيعه وزهرته ومشتريه وزهرته ومنه قربة الوداد أقرب من لحمة الولاد ومنه لقاء الخليل شفاء الغليل (ومنه) ليس للصديق اذا حضر عديل ولا عنه اذا غاب بديل ومنه مثل الصديقين كاليد تستعين باليد والعين تستعين بالعين ومنه لقاء الصديق روح الحياة وفراقه سم الحياة ومنه لا تساغ مرارة الاوقات الا بحلاوة الاخوان الثقات (ومنه) استروح من غمة الزمان بمناسمة الخلان ومنه الحاجة الى الاخ المعين كالحاجة الى الماء المعين ولبعضهم فى معنى هذا الباب

ما ضاع من كان له صاحب * يقدر أن يصلح من شأنه

فانما الدنيا بسكانها * وانما المرء باخوانه

(باب ذم الاخوان)

كان عمرو بن العاص رضى الله عنه يقول من كثر اخوانه كثر غرماؤه يعنى فى قضاء الحقوق وقال عمر بن مسعدة العبودية عبودية الاخاء لا عبودية الرق وقال ابراهيم بن العباس مثل الاخوان كالنار قليلها ممتاع وكثيرها بوار (وقال) الكندي لابنه يا بني الاصدقاء هم الاعداء لانك اذا احتجت اليهم منعوك واذا احتاجوا اليك ثلبوك وسلبوك وكان بعضهم يقول فى دعائه اللهم أحرسني من أصدقائي فاذا قيل له فى ذلك قال أقدر على الاحتراس من أعدائي ولا أقدر على الاحتراس من أصدقائي وقال ابن المعتز أصدقاء السوء كشجرة النار يحرق بعضها بعضا وقال أيضا انما تطيب الدنيا بمساعدة الاخوان وينتفع بهم فى كافة الاحوال والافعلى الصداقة الدمار وما أرجوه

(وقال) أيضا أية نار قدح القادح وأى جد بلغ المازح (ويقال) لكل شئ بدء وبدء العداوة المزاح (وقال) سالم بن قتيبة لاهل بيته لا تمازحوا فيستخف بكم ولا تدخلوا الاسواق فتدق أخلاقكم (وقال) الاحنف من كثر مزاحه ذهبت هيبته ومن كثر ضحكه استخف به (وقال الشاعر)

أما المزاح والمراء ذرهما * خلقان لا أرضاهما لصديق

(وقال آخر) ان المزاح للجلال مسلبه * والضحك أيضا للهاء مذهبه

(وقال آخر) ان المزاح يورث الضغينه * وحمل ضغن فى الحشا مؤنه

(باب مدح العتاب)

قال بعض البلغاء العتاب حدائق المتحابين وثمار الاوداء والدليل على الضن بالاخوة ويقال ظاهر العتاب خير من باطن الحقد ويقال من لم يعاتب على الزلة فليس بحافظ للخلة وقال الشاعر

نعاتبكم يا آل عمرو ولحبكم * ألا انما المقلى من لا يعاتب

وقال ابن المعتز العتاب حياة المودة ويقال من كثر حقده قل عتابه وقال الشاعر

ترك العتاب اذا استحق أخ * منك العتاب ذريعة الهجر

(وقال آخر) اذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود ما بقى العتاب

(وقال آخر) أبلغ أبا جعفر عنى معاتبة * وفى العتاب حياة بين أقوام

(باب ذم العتاب)

قال بعضهم كثرة العتاب تورث الضغينة وتولد البغضة وقال بعض الحكماء البلغاء مثل العتاب مثل الدواء ينقى به عارض الصدود يشفى بمكانه مرض الصدور فاذا استعمل لغير علة عارضة وتنوقل بلا حاجة ظاهرة تحول داء المحبة دواء وصار موتا بيد القطيعة وحيا (وقال آخر) كثرة العتاب داعية الاجتناب وقال الشاعر

ان بعض العتاب يدعو الى حقد * ويؤذى به المحب الحبيبا

فاذا ما القلوب لم تضمر الود * فلن يعطف العتاب القلوبا

وقال آخر ودع العتاب فرب شر * هاج أوله العتاب

وقال آخر اذا ما كنت منكر كل ذنب * ولم تجمل أخاك عن العتاب

تباعد من تعاتب بعد قرب * وصار به الزمان الى اجتناب

وقال ابن المعتز لا تعاتب صديقك لادنى سبب وأخفى شئ يتعلق به الظن فان ذلك يدل على ضعف نقتك به ووهن مودتك له وكفى بما قاله بشار بن برد واعظا من العتاب

اذا كنت فى كل الامور معاتبا * صديقك لم تلق الذى لم تعاتبه

فعش واحدا أو صل أخاك فانه * مقارف ذنب مرة ومجانبه

اذا كنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

(باب مدح الحجاب)

أحسن ما قيل فى الحجاب قول أبى تمام

يا أيها الملك النائى برؤيته * وجوده لمراعى جوده كتب

ليس الحجاب بمقص منك لى أملى * ان السماء ترجى حين تحتجب

ولبعضهم له حاجب عن كل أمر يشينه * وليس له عن طالب العرف حاجب

(وقال ابن نباتة السعدى)

ولو كان الحجاج بغير نفع * لما احتاج الفؤاد الى حجاب

وقال الحكيم للملك لا تمكن الناس من كثرة رؤيتهم لك فان أجرأ الناس على الاسد أكثرهم له رؤية وقال بعضهم كثرة الاذن مجلبة الابتذال وأبهة الملوك فى الاحتجاب (وقال آخر) المبذول مملول والممنوع متبوع وقد أحسن ابن المعتز فى قوله

كما يخلق الثوب الجديد ابتذاله * كذا تخلق المرء العيون الاوالح

وقال أبو جعفر العتبى للامير منصور بن نوح وهو يعرض له بالعتاب على التعرض لكثرة لقاء الناس له لو كان الله عز وجل ظاهرا للعيون غير محجوب عن العبيد لما عبد

(باب ذم الحجاب)

أحسن ما قيل فى ذم الحجاب قول بعض العصريين

ليس الحجاب بآلة الاشراف * ان الحجاب مجانب الانصاف

ولقلما يأتى فيحجب مرة * فيعود ثانية بقلب صاف

وقال محمد بن عبد الله بن أبى عيينة

انى أتيتك للسلام ولم * أنقل اليك لغيره رجلى

فحجبت دونك مرتين وقد * تشتد واحدة على مثلى

وكان خالد بن عبد الله القسرى يقول لحاجبه اذا أخذت مجلسى فلا تحجبن أحدا عنى

فان الوالى يحتجب لثلاثة أشياء عى يكره أن يطلع عليه أو ريبة يخاف انتشارها أو بخل يكره أن يسئل معه شيأ وكانت العجم تقول ما شئ باضيع للمملكة من شدة احتجاب الملوك ولا شئ باهيب للجند ولرعية وأكف لهم عن الظلم من سهولته وقال أبو العتاهية

متى ينجح الغادى اليك لحاجة * ونصفك محجوب ونصفك نائم

(وقال المتنبى) وهل نادى أن ترفع الحجب بيننا * ودون الذى أملت منك حجاب

(باب مدح الزيارة)

(فى الخبر) من زار أخاه أو عاد مريضا نادى منادمن السماء أن طبت وطاب ممشاك تبوأت من الجنة منزلا و يقال امش ميلا وعد مريضا وامش ميلين وأصلح بين اثنين وامش ثلاثة أميال وزر صديقا فى الله المتعال و يقال الزيارة عمارة المودة ومنظرة الخلة وزار بعض العلوية يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله فقال له يحيى ان زرتنا فبفضلك وان زرناك فلفضلك فلك الفضل زائرا ومزورا وقال الشاعر

أزور محمدا فاذا التقينا * تكلمت الضمائر فى الصدور

فارجع لم ألمه ولم يلمنى * وقد رضى الضمير عن الضمير

(وقلت فى المهيج) من زار صديقه الذى يفضى اليه بسره فقد لقى السرور باسره وخرج عن عقال الهم وأسره (وفيه) زيارة الصديق تترك الهم مطردا والانس مطردا (وفيه) فى زيارة الاخوان روح الجنان وراحة الجنان

(باب ذم الزيارة)

فى الخبر زر غبا تزدد حبا و يقال قلة الزيارة أمان من الملالة و ينشد

انى كثرت عليه فى زيارته * فمل والشئ مملول اذا كثرا

ورابنى منه أنى لا أزال أرى * فى طرفه قصرا عنى اذا نظرا

(وقال كشاجم) قد قلت لما أن شكت * تركى زيارتها اخلوب

ان التباعد لا يضر اذا تقاربت القلوب

(وقال منصور الفقيه) كثرت عليه فملنه * وكل كثير عدو الطبيعه

(وقال آخر) أقلل زيارتك الحبيب تكرن كالثوب اسجده

ان الصديق يمله * أن لا يزال يراك عنده

وأحسن من هذا قول الآخر

عليك باقلال الزيارة انها * اذا كثرت كانت الى الهجر مسلكا

ألم تر أن القطر يسأم دائما * ويسئل بالأيدى اذا هو أمسكا

وأحسن ما قيل فيه قول الآخر

أقلل زيارة من تهوى مودته * فالناس من لم يواسهم أجلوه

فالغيث وهو حياة الناس كلهم * ان دام أكثر من يومين ملوه

(باب مدح النساء)

قال النبى صلى الله عليه وسلم حبب الى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة وقال عليه الصلاة والسلام تنكح المرأة لجمالها ومالها فعليك بذات الدين ترتبد لك ثم قال عليه الصلاة والسلام ما أفاد رجل بعد الاسلام خيرا من امرأة ذات دين تسره اذا نظر اليها وتطيعه اذا أمرها وتحفظه فى نفسه وماله اذا غاب عنها وقال مسلمة بن عبد الله المرأة الصالحة خير للمرء من عينيه ويديه و يقال أقر متاع الدنيا العين المرء المرأة الصالحة والولد الاريب و يقال من لم تحنه نساؤه تكامل عقله و يقال خير النساء الودود الولود القعود وقال بعض العرب خير النساء الهينة اللينة النقية التقية التى تعين زوجها على الدهر ولا تعين الدهر على زوجها وقال بعض السلف المرأة الصالحة احدى الحسنيين و يقال عون الاعوان على المعيشة المرأة الصالحة * و يقال الانسان لا يسكن الى شئ كسكونه الى زوجته ولذلك ان الله تعالى خلق حواء ليسكن اليها آدم عليه السلام كما قال عز اسمه هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فالسكون الى الازواج والانس بهن مما ورثوه عن آبائهم وقال بعضهم ان الرجل لا يسكن الى شئ كسكونه الى زوجته الموافقة المؤاتية له لان الله عز اسمه يقول ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ولم يخصص بهذه الصفة غير النساء ولذلك يهجر الرجل والديه وأولاده ومن دونهم بسبب زوجته ولذلك لا يهتم أحد لا حد كاهتمام المرأة الصالحة لزوجها فى شفقتها عليه وعلى عياله ولا يكاد يتم أمر منزل الرجل ومروأته الا بحرة شفيقة رفيعة صالحة عفيفة والا اختلت أموره واضطربت أسبابه (وقال) خالد بن صفوان لرجل اطلب لى بكرا كثيب أو ثيبا كبكر لاضرعاء

صغيرة ولا عجوزا كبيرة قد عاشت فى نعمة وأدركتها حاجة فخلق النعمة فيها وذل الحاجة معها (ومن) أحسن ما قيل فيهن قول الشاعر

ونحن بنو الدنيا وهن بناتها * وعيش بنى الدنيا لقاء بناتها

وقال آخر ان النساء رياحين خلقن لنا * وكلنا نشتهى شم الرياحين

﴿ باب ذم النساء ﴾

قال النبى صلى الله عليه وسلم فى ذكر النساء انهن ناقصات العقل والدين (وقال) عليه الصلاة والسلام شاوروهن وخالفوهن فان البركة فى خلافهن (وقال) عمر رضى الله تعالى عنه استعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر (ويقال) النساء حبائل الشيطان (ويقال) اعص هواك والنساء وأطع من تشاء (وقال) النبى عليه الصلاة والسلام ما تركت بعدى فتنة أضر بالرجال من النساء (وعنه) عليه الصلاة والسلام خلقت المرأة من ضلع عوجاء فان داريتها استمتعت بها وان رمت تقويمها كسرتها (وقال) الشاعر على هذا

هى الضلع العوجاء لست تقيمها * ألا ان تقويم الضلوع انكسارها

وتجمع ضعفا واقتدارا على الفتى * وهذا عجيب ضعفها واقتدارها

(وقيل) ان كيد النساء أعظم من كيد الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال الله ان كيدكن عظيم (وقال) بعض الحكماء لا ينبغى للعاقل أن يمدح امرأته الا بعد موتها (وقال بعضهم)

ان النساء شياطين خلقن لنا * نعوذ بالله من شر الشياطين

فهن أصل البليات التى ظهرت * بين البرية فى الدنيا وفى الدين

وكان المأمون يقول النساء شركهن ومن شر ما فيهن قلة الاستغناء عنهن (وقال) بعضهم المرأة الصالحة مثل يضعه الله فى عنق من يشاء من عباده ويفكه عمن يشاء وكان يقال من القوائل امرأة ان حضرتها سبتك وان غبت عنها لم تأمنها وقال بعض الحكماء أضر الاشياء بالدين والعقل والجسم والمال الغرام بالنساء ومن لؤم من يبتلى بهن انه لا يقتصر على ما عنده ويطمح الى ما ليس له (وقال بعضهم) من يحصى مساوى النساء وقد اجتمعت فيهن نجاسة البطن والفرج وما فيهن الا ناقصة العقل والدين لا تصلى ولا تصوم أيام حيضها ولا يسلم عليها وليست عليهن جمعة ولا جماعة

ولا يكون فيهن نبى ولا قاض ولا يسافرن الا بولى (ويقال) ما نهيت امرأة عن شئ قط الا أتته وفى معناه يقول طفيل الغنوى

ان النساء كأشجار نبتن لنا * منهن مر وبعض المر مأكول

ان النساء متى ينهين عن خلق * فانه واجب لا بد مفعول

وقال رجاء بن حيوة قال معاذ بن جبل انكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم وانى أخاف عليكم فتنة السراء وان أشدها لكم عندى النساء اذا تحلين الذهب والفضة ولبسن ريط الشام وعصب اليمن أتعبن الغنى وكلفن الفقير ما لا يقدر عليه

﴿ باب مدح التزوج ﴾

قيل للحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما انك يا ابن رسول الله منكاح مطلاق فقال لانى أحب الغنى وقد سمعت الله تعالى يقول وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله فنكحت أبتغى الغنى وسمعته يقول وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته فطلقت أبتغى الغنى أيضا (وقال) النبى عليه الصلاة والسلام لعاكف الهلالى ألك امرأة قال لا قال فانت اذا من اخوان الشياطين فان كنت من رهبان النصارى فالحق بهم وان كنت منا فمن سنتنا النكاح (وقال) بعض الصحابة عند وفاة زوجته زوجونى زوجونى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصانى أن لا ألقاه أعزب (وقال) معاذ بن جبل لو لم يبق من عمرى الا ليلة لاحببت أن تكون لى فيها زوجة خوف الفتنة وقال بعض السلف لا عزب والله ما يمنعك من التزوج الا عجز أو فتور (ويقال) النكاح من سنن المرسلين وكذلك العطر والسواك

﴿ باب ذم التزوج ﴾

(سئل) بعض الحكماء البلغاء عن التزوج فقال فرح شهر وغم دهر وغرم مهر ودق ظهر وقيل لرجل أملك فقال اهلك وقال آخر المملك هو المملوك الا أن ثمنه عليه (وقال) بعض العرب بيتا فيه

يقولون تزويج وأشهد أنه * هو البيع الا من يشاء يكذب

(ويقال) قيل للعتابى انت أعزب فلو تزوجت فقال وجدت الصبر عنهن أيسر من الصبر عليهن (وقيل) لمالك بن دينار مثل ذلك فقال لو استطعت لطلقت نفسى وفى كتب ملح النوادر أن ذئبا كان ينتاب بعض القرى ويعبث فيها فترصده أهلها حتى

صادوه وتشاوروا فى تعذيبه وقتله فقال بعضهم نقطع يداه ورجلاه وندق أسنانه ويخلع لسانه وقال بعضهم بل يصلب ويرشق بالنبال وقال بعضهم لابل توقد نار عظيمة ويلقى فيها وقال بعض الممتحنين بنسائه لابل يزوج وكفى بالتزويج تعذيبا وفى هذه القصة يقول الشاعر

رب ذنب أخذوه * وتمار وافى عقابه * ثم قالوا زوجوه * وذروه فى عذابه

(باب مدح الجوارى)

كان يقال من أراد قلة المؤنة وخفة النفقة وحسن الخدمة وارتفاع الحشمة فعليه بالاماء دون الحرائر (وكان) عبد الملك يقول عجبت لمن استمتع بالسرارى كيف يتزوج الحرائر (ويقال) السرور فى اتخاذ السرارى (وكان) أهل المدينة يكرهون اتخاذ الاماء أمهات أولادهم حتى نشأ فيهم على بن الحسين بن على بن أبى طالب والقاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفاقوا أهل المدينة فقها وعلما وورعا وممن منهم الا ابن سرية فرغب الناس فى اتخاذ السرارى وقال مؤلف الكتاب وليس فى خلفاء بنى العباس من أبناء الحرائر الا ثلاثة السفاح والمنصور والمخلوع وأما الباقون كلهم فأبناء السرارى والجوارى وقد أوردت أسماء الكل فى كتاب لطائف المعارف المؤلف بخزانة مولانا الملك المؤيد أعز الله نصره وثبت ملكه وكان يقال النجابة فى أولاد الاماء لانهم يجمعون عز العرب ودهاء العجم ولما تزوج على بن الحسين بأم ولد رجل من الانصار لامه عبد الملك بن مروان على ذلك فكتب اليه ان الله عز اسمه قد رفع بالاسلام الخسيسة وأتم النقيصة وأكرم من اللؤم فلا عار على مسلم فى حلال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أمة وأم ولد فقال عبد الملك ان عليا يتشرف من حيث تتضع الناس وفى كتاب المنهج الجارية الوسيمة من النعم الجسيمة (وفيه) لاتتخذ السرية الا سرية قال وقلت فى كتاب المترف

سقيا لدهر سرورى * والعيش بين السرارى * اذ طير سعدى جوار
مع امتلاك الجوارى * أيام عيشى تعودى * وقد ملكت اختيارى
أجرى بغير عذار * أجنى بغير اعتذار * وغيم لهوى مطير
وزند أنسى وارى * كان خوارزم شاه الهمام أصبح جارى
من ريب دهر خؤون * بغير ما مر جارى * ذاك المليك لذى قد

سكت يداه السوارى * وقد حمى الدين لما * جلاه يوم الفخار
فظل سورا عليه * وتارة كسوار * لازال خوارزم شاه
يحوى الغنى باقتدار * صدرا بغير مبار * بدرا بغير سرار

(باب ذم الجوارى)

أحسن ما سمعت فى ذم الجوارى ما أنشدنى أبو الحسن السهروردى قال أنشدنى المحبوبى المروزى قول الشاعر

اذا لم يكن فى منزل الحرة * رأى خلل فيما تولى الولائد
فلا يتخذ منهن حرة عيدة * فهن لعمر الله شر القعائد

(وكان) يقال الجوارى نكبز السوق والحرائر نكبز الدور (ومن) أمثال العرب لاتمازح أمة ولا تبل على أكمة (وسمعت) أبا الحسن الماسرخسى يقول سمعت بعض صدور نيسابور يقول لا تفترش من تداولتها أيدى النخاسين ووقع ثمنها فى الموازين ويقال لاخير فى بنات الكفر وقد نودى عليهن فى الاسواق ومرت عليهن أيدى الفساق

(باب مدح العيال)

قال بعض السلف استكثروا من العيال فانكم لاتدرون بمن ترزقون (ويقال) من لاعيال له لامروءة له (وقال) طلحة الطلحات لاتمتنعوا من اتخاذ العيال فانكم لاتدرون بمن ترزقون واعلموا أن أرزاقهم على الله ومرافقهم لكم (وكان) يقال الكلب ومن لاعيال له بمنزلة (وكان) جعفر بن سليمان يقول المروأة فى سعة الحال وكثرة العيال وشكا رجل الى بعض العلماء كثرة عياله فقال له من كان من عياله رزقه على غير الله فعوله الى * ومما يستحسن فى ذلك لابى العتاهية

الخلق كلهم عيا * ل الله تحت ظلاله * وأحبهم طرا اليه أبرهم لعياله

* (باب ذم العيال) *

كان يقال قلة العيال أحد اليسارين (وقال) خلف بن أيوب كم من كريم فضحته العيال (وقال) سفيان بن عيينة لا يصلح ولا يجوز ولا يستقيم أن يكون صاحب العيال ورعا (ويقال) العاقل يتخذ المال قبل العيال والجاهل يتخذ العيال قبل المال وروى سفيان بن عيينة قوما وقفا بباب يحيى بن خالد البرمكى فقال له ايس هذا من مواطنك يا أبا محمد فقال متى رأيتم صاحب العيال أفلح (وكان) يقول انى لاعجب

ممن له عيال وليس له مال كيف لايخرج على الناس بالسيف (ومن) الامثال السائرة العيال سوس المال (وقيل) لبعضهم ما المال قال قلة العيال وقال آخر لامال لكثير العيال (ومن) مواعظ كتاب المنهج استظهر على الدهر بخفة الظهر

(باب مدح الولد)

فى الخبر المرفوع ريح الولد من ريح الجنة (ويروى) عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لاحد الحسنين رضى الله عنهما انك من ريحان الله (وعنه) عليه الصلاة والسلام ولد الرجل من أطيب كسبه (ويقال) الولد قرة العين وريحانة الانف وثمرة القلب وقال بعض السلف أولادنا أكبادنا وقال الاحنف لمعاوية أولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة ان غضبوا فأرضهم وان سألوا فأعطهم ولا تكن عليهم قفلا فيملوا حياتك ويتمنوا وفاتك (وقالت) اعرابية وهى ترقص ولدها

ياحبذا ريح الولد * ريح الخزامى فى البلد أهكذا كل ولد * أم لم يلد قبلى أحد

(ومما يستحسن من ألفاظ الصاحب قوله فى كتاب) وصل كتاب مولاى فالصقته بالقلب والكبد وشممته شم الولد وقال من سره أن يرى كبده يمشى على الارض فليرزق ولده

(باب ذم الولد)

قال بعض حكماء العرب من سره بنوه ساءته نفسه (وكان) يحيى بن خالد يقول ما رأى أحد فى ولده ما يحب الا رأى فى نفسه ما يكره (وقال) ابن الرومى فى معناه

كم من سرور لى بمولود أوّله يعد * وبأن يهدنى الزمان ن رأيت منته أشد

ومن العجائب أن أسر بمن يشد بما أهد

(وقال) ابن المعتز فى فصوله أفقرك لولد أوعادك (وفى) المنهج اذا تزعزع الولد تزعزع لوالد (وقيل) لعيسى عليه السلام هل لك فى الولد فقال ما حاجتى الى من ان عاش كدرنى وان مات هدنى (وقيل) لبعض النساك ما بالك لا تبتغى ما كتب الله لك قال سمعا لامر الله ولامر حبا بمن ن عاش فتننى وان مات أحزننى يريد قوله تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة وقال حكيم فى ذم الاولاد مملوك صغارا وأعداء كبارا يريد قوله تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم (ويقال) من أراد أن يذوق الحلاوة والمرارة فليتخذ ولدا (وينشد) لابى سهل سعيد بن عبد الله الشكلى

هذا لزمان الذى كنا نحذره * فيما يحدث عن كعب ومسعود

ان دام هذا ولم يحدث له غير * لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

وقال المتنبى ومن الدهر أهل أن يؤمل عنده * حياة وان يشتاق فيه الى النسل

وقال البستى يقولون ذكر المرء يحيا بنسله * وليس له ذكر اذا لم يكن نسل

فقلت لهم نسلى بدائع حكمتى * فان فاتنا نسل فانا بها نسلو

(وقال ابن المعتز)

سكنتك يا دنيا ولم يك سكرها * وما كان لى فى ذاك صنع ولا أمر

وجرعتنى حتى قد قتلتك خبرة * فانت وعاء حشوه الهم والضر

فان ارتحل يوما أودعتك ذمة * وما فيك من عودى غراس ولا بذر

(وقيل) لفيلسوف بم توفق والديك فقال لانهما أخرجانى الى عالم لكون والفساد (وقيل) لاعرابى لم أخرت التزوج الى الكبر فقال لابادر ولدى باليتم قبل أن يسبقنى بالعقوق (وحدثنى) أبو نصر سهل بن المهدى قال كان رجل من المياسير بالبصرة يتمنى أن يرزق ابنا وينذر عليه النذور حتى ولد له فسر به غاية السرور وأحسن تربيته حتى ارتفع عن مبالغ الاطفال الى حد الرجال ولم يهمه شئ من أمر الدنيا سواه ولم يؤخر عنه شيئا من الاحسان عنه فلم يشعر الاب ذات يوم الا بحجر خالط جوفه من وراء ظهره فاستغاث بابنه فلم يجبه ثم استغاث به ثانية والتفت فاذا هو صاحبا ضربة فقال الشيخ لا اله الا الله محمد رسول الله أستغفر الله صدق الله أراد بالتهليل أن يبقى لله بلا عيان وبالاستغفار ان الله تعالى حذره فلم يحذر وبقوله صدق الله عز وجل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم فجمع بهذه الكلمات كل ما يحتاج اليه فى تلك الحال

(باب مدح البنات)

دخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة فقال من هذه يا معاوية فقال هذه تساحة القلب وريحانة العين وشمامة الانف فقال أمطها عنك قال ولم قال لانهن بلدن الاعداء ويقربن البعداء ويورثن الشحناء ويثرن البغضاء قال لا نقل ذلك يا عمرو فوالله ما مرض المرضى ولا ندب الموتى ولا أعان على الزمان ولا أذهب بشر الاحزان من المهر والنعل لواحد خالا قد نفعه بنو أخته وأبا قد رفعه نسل

بنته فقال يامعاوية دخلت عليك وماعلى الارض شئ أبغض الى منهن وانى لاخرج من عندك وماعلى الهاشئ أحب الى منهن (وقال) معن بن أوس

رأيت رجالا يكرهون بناتهم * وفيهن لانكذب نساء صوالح

وفيهن والايام يفتكن بالفتى * خوادم لايعللنه ونوائح

وقال العلوى الجمانى فى صديق له ولدت له بنت فسخطها شعرا

قالوله مذار زقتنا * فاصاخ ثم قال بنتا * وأجل من ولد النساء

أبوالبنات فلم جزعتا * ان الذين تودمس * بين الحلائق ما استطعتا

نالوا بفضل البنت ما * كبتوا به الاعداء كبتا

(وفى) رقعة لصاحب بالتهنئة بالبنت أهلا وسهلا بعقيلة النساء وأم الابناء وجالبة الاصهار والاولاد الاطهار والمبشرة باخوة يتناسقون ونجباء يتلاحقون شعر

فلوكان النساء كمن وجدنا * لفضلت النساء على الرجال

وما التأنيث لاسم الشمس عيب * وما التذكير فخر للهلال

والله تعالى يعرفك يامولاى البركة فى مطلعها والسعادة بموقعها فادرع اغتباطا واستأنف نشاطا فالدنيا مؤنثة والرجال يخدمونها والذكور يعبدونها والارض مؤنثة ومنها خلقت البرية فيها كثرت الذرية والسماء مؤنثة وقد زينت بالكواكب وحليت بالنجم الثاقب والنفس مؤنثة وهى قوام الابدان وملاك الحيوان والحياة مؤنثة ولولاها لم تتصرف الاجسام ولا عرف الانام والجنة مؤنثة وبها وعد المتقون وفيها ينعم المرسلون فهنيئا لك هنيئا بما أوتيت وأوزعك الله شكر ما أعطيت (ونسخت رقعة لابى الفرج البيغا) تصل بى خبر المولودة المسعودة كرم الله عرقها وأنبتها انباتا حسنا وما كان من تغيرك عند اتصال الخبر وانكارك ما اختاره الله لك فى سابق القدر وقد علمت أنهن أقرب من القلوب وان الله بدأ بهن فى الترتيب فقال عز من قائل يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وما سماه الله تعالى هبة فهو بالشكر أولى وبحسن التقبل أحرى فهنيئا لك الله بورود الكريمة عليك وثمرتها اعداد النسل الطيب لديك والله أعلم

(باب ذم البنات)

قيل لاعرابى ما ولدك قال قليل خبيث ذليل وكيف ذلك قال لاعدد أقل من الواحد

ولا أخبث من بنت (وكان يقال) دفن البنات من المكرمات (ويقال) تقديم الحرم من النعم (وفى) الحديث المرفوع نعم الختن القبر وروى لعبد الله بن طاهر

لكل أبى بنت اذا ما تزعزعت * ثلاثة أصهار اذا ذكر الصهر

فزوج براعيها وبيت يكنها * وقبر يواريها وخيرهم القبر

(وقال غيره)

جعلت فداك من الغائبات * ومتعت ما عشت من الطيبات

سرور ان مالهما ثالث * حياة البنين وموت البنات

وأصدق من ذين قول الحكيم دفن البنات من المكرمات

(وكان) الاستاذ الطبرى يقول ليس بشيخ من لا بنت له وان كان ابن تسعين سنة وليس بشاب من له بنت وان كان ابن عشرين سنة (وقيل) طوبى لمن صاهر القبر وخطب اليه الدهر ووضع فى ميزانه الاجر

(باب مدح الغلمان)

قال مطيع بن اياس لو لم يكن للمرد فضيلة الا أن الله تعالى خلق ملائكته مردا وأهل الجنة مردا لكانت فيها الكفاية وانما عنى الحديث المرفوع أهل الجنة مرد جرد مكحلون (وفى) ذلك يقول الشاعر

لو كان يرضى ربنا باللعى * ما خلق الجنة للمرد

(وكان) يقال الغلام هو الرفيق فى السفر والقرين فى الحضر والصديق فى الشدة والرخاء والمعين على الشغل والنديم عند الشرب وهو مفتاح الانس (وكان) يحيى ابن أكثم يقول قد أكرم الله أهل جنته بان أطاف عليهم غلمانا كانهم لؤلؤ مكنون وولدانا مخلدين فى وقت رضاه عنهم وقرب اتصاله منهم لفضلهم فى الخدمة على الجوارى فما الذى يمنعنى عاجلا عن طلب هذه الكرامة المخصوص بها أهل القربة عند الله والزلفى لديه (وقيل لمسلم الاصغر) لم فضلت الغلام على الجارية فقال لانه فى السفر صاحب ومع الاخوان نديم وفى الخلوة أهل (وقال) مطيع بن اياس

من كان تعجبه الانثى ويعجبها * من الرجال فانى شغفنى الذكر

فوق الخمامى لما طر شاربه * رخص البنان خلا من جلده الشعر

لم يخف من كرمى يرادبه * من الامور ولا أزرى به الصغر

(وقال آخر) فديتك انما اخترتك عمدا * لانك لاتحيض ولاتبيض
ولوملنا الى وصل الغوانى * لضاق بنا لعدم البلد العريض

(وقال أبونواس) انى امرؤ أبغض النعاج وقد * يعجبنى من نتاجها الحمل
حتى اذا ما رأيت لحيته * فليس بينى وبينه عمل

(وكتب) بعضهم الى صديق له على ظهر
كتبت اليك فى ظهر لعلمى * بانا معشر نهوى الظهورا
وان الصيد للغزلان خير * من السمك الذى يأوى البحورا

(باب ذم الغلمان)

قال بعض السلف لاتملؤا أعينكم من المرد فان فتنتهم كمتنة لغوانى وتربو عليها وقيل من أولع بحب الغلمان استهدف لالسن الطاعنين وقال ابن الرومى

حبك الغلمان ما * أمكن النسوان غين انما يعشق فى ظهرا ذا أعوز بطن

(وقال الصابى)

لحاجة المرء فى الادبار ادبار * والمائلون الى الاحراء أحرار
كم من ظريف نظيف بات ممتطيا * ردف الغلام فاضحى وهو عطار
تصفر أثوابه من ورس فقحته * فيستبين لذلك الخزى والعار
لايستطيع جحودا اذ تقذره * يوما وفى ثوبه للسلح آثار
كم بين ذاك ومن بانت مطيته * حوراء ناظرها بالغنج سحار
يقوم عنها وقد أهدت له أرجا * تضوعت من غوالى طيبه الدار
ليس الغلام لها عدلا يقاس بها * وهل يقاس بعود الند أقذار
اياكم يا ثقاتى من مخالفتى * فلا يصدكم عن الاحراء أحجار

وقال بعض الرؤساء استراح من اقتصر على النساء وقال بعض الحكماء الظرفاء اللواط ليس من الاحتياط وكان الاستاذ الطبرى يقول اجتماع لايرين فى لحاف واحد خطر عظيم وخطأ كبير وأنشد

عليك الاناث وايثارهن * ودع سيدى عنك ذكر الذكر
فليس اللواط من الاحتياط * وايران تحت لحاف خطر

(باب مدح الخط والعذار)

يقال هل يحسن الروض الا بزهره وقال بعض البلغاء أحسن ما يكون وجه الامرد الصبيح اذا نقش الخط فص وجهه وأحرق فضة خده وقال آخر خط الوجه الحسن كالسواد الحال فى القمر ومن أحاسن الشعر فى معناه للصاحب الجليل حيث قال

ان كنت تنكره فالبدر يعرفه * أو كنت تظلمه فالحسن ينصفه
ماجاءه الشعر كى يمحو محاسنه * وانما جاءه غمدا يغلفه

(وقال أبو الفرج البيغاء)

ومهفهف لما اكتست وجناته * حلل المحاسن طرزت بعذاره
لما انتصرت على عظيم جفائه * بالقلب صار القلب من أنصاره

(وقال أبونواس)

قد كان بدر السماء حسنا * والناس فى حبه سواء * فزاده ربه عذارا
تم به الحسن والبهاء * لاتعجبوا بناقدير * يزيد فى الخلق مايشاء

وقال أيضا من أين للرشأ الغرير الاحور * فى الخد مثل عذاره المتحدر
قمر كان بعارضيه كليهما * مسكا تساقط فوق ورد أحمر

(وقال الشهاب الحجازى)

ومهفهف ألحاظه وعذاره * يتعاضدان على فناء الناس
سفك الدماء بصارم من نرجس * كانت حمائل غمده من آس

وقال آخر وخط تم فى حافات خد * له فى كل يوم ألف عاشق
كان الريح قد مرت بمسك * وذرت ما وقته على الشقائق

(باب ذم الخط والعذار)

قال بعض البلغاء اذا اختط الغلام استحال نور خده دجا وزمرذ خطه سجا ويقال عيب العذار أن يكسف الهلال ويحيل الخال ويمسخ الجمال وينقص الكمال وقال الشاعر

قالت لما تشوكت وجنتاه * وأزال الظلام ضوء نهاره
أى شئ هذا فقال مجيبا * كل من مات سوا باب داره

(وقال التنوخى)

قلت لاصحابى وقد مر بى * منتقبا عد الضيا بالظلم

بالله يا أهل ودى قفوا * كى تبصروا كيف نزول النعم

(وقال بعض العصريين)

أخنى عليه الشهر والدهر * ومحا محاسن وجهه الشعر
ومن يصف ما قد دهاه يقل * لا تعجبوا قد يكسف البدر

(وقال آخر) ما يفعل الله باليهود * ولا بعاد ولا ثمود
ولا بابليس اذ تأبى * يوم دعاه الى السجود
ولا بفرعون اذ تعدى * ما يفعل الشعر بالخدود
بينا يرى الامرد المفدى * كالبدر فى ليلة السعود
اذ غمر الشعر عارضيه * وصار قردا من القرود

وقيل ليس بعد الشعر حسن

(باب مدح المماليك)

يقال العبد من لا عبد له و يقال الكلب ومن لا عبد له سواء وقال دعبل الفسابة فى المماليك هم عز مستفاد وفى أكباد الاعداء أوتاد وقال سعيد بن سالم لا بد للعميد من عبيد وكان يقال الاحسان الى العبيد مرضاة للرب ومسخطة للعدو وكان جعفر ابن سليمان يقول فى العبيد ان أكلوا من مالك زادوا فى جمالك ويقال العيش فى سعة الدار والعز فى كثرة العبيد وقال آخر عز الملوك فى كثرة المملوك وقال آخر رب عبد خير من ولد لان الولد فى أكثر الاوقات والاحوال يرى صلاحه فى موت أبيه والعبد يرى صلاحه فى بقاء سيده وأحسن ما سمعت فى وصف مملوك ومدحه قول أبى عثمان الخالدى فى شأن غلامه حيث قال

ما هو عبد لكنه ولد * خوانيه المهيمن الصمد
وشد أزرى بحسن خدمته * فهو يدى والذراع والعضد
صغير سن كبير منفعة * تمازج الضعف فيه والجلد
وورد خديه والشقائق والتفاح والجلنار منتضد
رياض حسن زواهر أبدا * فيهن ماء النعيم مطرد
معشق الطرف كله كحل * معطل الجيد حليه الجيد
وغصن بان اذا بدا واذا * شدا فقمرى بانة غرد

مهذب خلقه فلا عوج * فى بعض أخلاقه ولا أود
ما غاظنى ساعة ولا صخب * يمر فى منزلى ولا حرد
مسامرى اذ دجا الظلام فلى * منه حديث كأنه شهد
خازن مافى يدى وحافظه * فليس شئ لدى يفتقد
يصون كتبى فكلها حسن * يطوى ثيابى فكلها جدد
وحاجبى فالخفيف محتبس * عندى به والثقيل مطرد
وحافظ الدار ان ركبت فما * على غلام سواه أعتمد
ومنفق مشفق على اذا * بذرت وأسرفت فهو مقتصد
وأبصر الناس بالطبيخ فكالمسك القلايا والعنبر الثرد
وواجدبى من المحبة والراحة أضعاف مابه أجد
اذا تبسمت فهو مبتهج * وان تغيرت فهو مرتعد
ذا بعض أوصافه وقد بقيت * له صفات لم يحوها العدد

(باب ذم المماليك)

من أمثال العرب ليس عبدك باخ لك ومنها الحر يعطى والعبد يألم قلبه ويقال الحر حر وان مسه ضر والعبد عبد وان كانت قلادته در ومن الامثال ما أطيب الغنا لولا العبيد والاما (وقال ابن مفرغ الحميرى)

العبد يقرع بالعصا * والحر تكفيه الملامة

وقال يزيد بن محمد المهلبى (شعر)

ان العبيد اذا أذللتهم صلحوا * على الهوان وان أكرمتهم فسدوا
ما عند عبدان يرجوه من فرج * ولا على العبد عند الخوف معتمد
فاجعل عبيدك أوتادا تشججها * لا يثبت البيت حتى يقرع الوتد

وقال بشار الحر يلحى أى يلام والعصا للعبد وقال سعيد بن محمد الطبرى

وان الحر فى الحالات حر * وان الذل يقرن بالعبيد

وقال المتنبى العبد ليس لحر صالح بأخ * لو أنه فى ثياب الحر مولود
لا تشتر العبد الا والعصا معه * ان العبيد لانجاس مناكيد

وسئل بعضهم عن غلام له فقال يأكل فرهاو يعمل كرها (وقال ابن الرومى)

لخادم لا أزال أحتسبه * يغيب حتى يرده سغبه
نرسله لاشتراء فاكهة * فقصران تجئنا كتبه
كم قال ضيفي لما أن بعثت به * هيهات يوم الحساب منقلبه
وخلته قد سما الى كرم رضوان لكي يجتني له عنبه
وانما زار مالكا فرأى * زقوم صدق فظل ينتخبه
هل مشتر والسعيد يتبعه * أو قابل والسعيد من يهبه
أضر بالمسلمين جالبه * لا كان من جالب ولا جلبه

ومثله قول راشد الكاتب فى ذم غلام له قد باعه وكان اسمه نفيسا فسماه خسيسا

بعنا خسيسا فلم يحزن له أحد * وغاب عنا فغاب الهم والنكد
أهون به خارجا من بين أظهرنا * لم نفتقده وكاب الدار يفتقد
قد عريت من صنوف الخير خلقته * فلا رواء ولا عقل ولا جلد
يدعو الفحول الى ما تحت مئزره * دعاء من فى استه النيران تتقد

وقال فيه أيضا

عرضنا خسيسا فاحتمى كل تاجر * شراه وأعيا بيعه كل دلال
فما فى يديه خدمة يشتهى لها * ولا عنده معنى يراد على حال
اذا لم يجد فيهم مقالا رماهمو * ببعض عيوب الناس فى لزن الخال
وان حملوه سر أمر أذاعه * وكادهمو فيه كيادة مغتال
تربهم صروف الدهر من حقانه * أعاجيب لم تخطر بوهم ولا بال
وما بات فى قوم يحبون قربه * فأصبح الا والمحب له قالى
بلى ليس يخلو من معايب أهله * وان أصبحوا فى ذروة الشرف العالى
ويحتال فى استخراج ما فى بيوتهم * بما قصرت عنه يدا كل محتال
ويعبث بالجيران حتى يملهم * ويبرم أهل الدار بالقيل والقال
أقول وقد مروا به يعرضونه * الى النار فاذهب لا رجعت ولا مالى

(باب مدح الخصيان)

كان يقال الخصيان ملائكة بنى آدم وقيل لابى العيناء لم اتخذت غلامين أسودين خصيين فقال اتخذتهما أسودين ملأتهم بهما وخصيين لنلا يتهمانى وعرض على

بعض الملوك غلام صبيح خصى فقال هذا يصلح للفراش والمراش وكان بعضهم يتخذ الخدم الخصيان ويختارمنهم البيض الحسان فقيل له فى ذلك فقال لانهم بالنهار فوارس وبالليل عرائس وفيهم يقول الشاعر

هم نساء اطمئن مقيم * ورجال ان كانت الاسفار

وفيهم يقول محمد بن الحلوع

مبرؤن من الشعر الكريه ومن * حمل الاثور واخراج المناتين
وهم نساء اذا حاولت خلوتهم * وهم رجال لدى الهيجاء يحموني

(باب ذم الخصيان)

قال الجاحظ الخصى اذا قطعت خصيته قويت شهوته وسخنت معدته ولانت جلدته وانجردت شعرته واتسعت فتحته وكثرت غلمته وغزرت دمعته ويقل من جب زبه ذهب لبه وقال المتنبى فى معناه

لقد كنت أحسب قبل الخصى بأن الرؤس مقر النهى
فلما نظرت الى عقله * رأيت النهى كلها فى الخصى

(ومما يستظرف للجماز قوله فى خصى اسمه سنان كان يعشق جارية)

ما للبغيض سنان * والوجوه الملاح أليس زان خصى * غاز بغير سلاح

ووصف الجماز رجلا بالرعونة فقال مثله كمثل الخصى يسخن من زب مولاه وانظر خصى الى أقلف فى الحمام فقال الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده فقال له الاقلف كل من له خصيتان له فضل عليك وأبلغ ما قيل فى ذم الخصى قول بعض السلف لم يلده مؤمن ولم يلد مؤمنا

(باب مدح النبيذ)

قال كسرى النبيذ صابون الهم * ومن هذا أخذ الشيخ بدر الدين السبكى

وكنت اذا الحوادث دنستنى * فزعت الى المدامة والنديم
لاغسل بالكؤس الهم عنى * لان الراح صابون الهموم

وقال ارسطاطاليس الراح كيمياء الفرح

(ومن هنا أخذ ابن الوكيل)

وليست الكيمياء فى غيرها وجدت * وكلما قيل فى أبوابها كذب
قيراط خمر على القنطار من حزن * يعود فى الحال أفراحا ينقلب

ان شرب المدام سيرا الى اللهو * وخير المسير صدر النهار

(ولذلك) قال ابن المعتز * اسقنى الراح فى شباب النهار * وعلى طريقته قال العلوى الجانى ان صدر النهار أنضر شعاريه كأنضرة الفتى فى فتائه

(ولابن المعتز) من دوجة تقع فى هذا الباب

لى صاحب قد لامنى وزادا * فى ترك الصبوح ثم عادا
* قال ألا تشرب بالنهار * وفى ضياء الفجر والاسفار
اذا وشى بالليل صبح فاتضح * وذكر الطائر شجوا فصدح
ونفض الليل على الروض الندى * وحركت أغصانه ريح الصبا
وقال شرب الليل قد آذانا * وطمس العقول والاذهانا
ألا ترى البستان كيف نورا * ونشر المنثور بردا أصفرا
وضحك الورد الى الشقائق * واعتنق القطر اعتناق الوامق
فى روضة كمال العروس * ونزهة كهامة الطاوس
وياسمين فى ذرى الاغصان * منتظم كقطع العقيان

وقال ابن الحجاج الصبح مثل البصير حالا * والليل فى صورة الضرير
فليت شعرى باى حال * يختار أعمى على بصير

(باب ذم الصبوح)

أحسن وأجمع ما قيل فى ذم الصبوح قول ابن المعتز فى المزدوجة

اسمع فانى للصبوح عائب * عندى من أخباره عجائب
اذا أردت الشرب قبل الفجر * والنجم فى لجة ليل يسرى
وكان بردا النديم مرتعد * وريقه على الثنايا قد جمد
وللغلام ضجرة وهمهمه * وشمة فى صدره مجمجمه
يمشى بلا رجل من النعاس * ويدفق الكاس على الجلاس
وان أحس من نديم صوتا * قال مجيبا طعنة وموتا
وان يكن للقوم ساق يعشق * فخفنه بخفنه مدبق
ورأسه كمثل روض قد مطر * وصدغه كالصولجان المنتشر
أجمل عن سواكه وزينته * وهيئة تنضر حسن صورته

يخدمهم بسيح محلول * ويحمل الكأس بلا منديل
وان طردت البرد بالستور * وجئت بالكانون والتنور
فاى فضل للصبوح يعرف * على الغبوق والظلام يسدف
وقد نسيت شر الكانون * كأنه نثار ياسمين
وتركك البساط بعض الجهد * ذا نقط سود كجلد الفهد
حتى اذا ما ارتفعت شمس الضحى * قيل فلان وفلان قد أتى
وربما كان ثقيلا يحشتم * مطول الكلام حينا وختم
ورفع الريحان والنبيذ * وزال عنك عيشك اللذيذ
ولست فى طول النهار آمنا * من حادث لم يك قبل كائنا
أو خبر يكره أو كتاب * يقطع أنس اللهو والشراب
واسع الى مشارب الصبوح * فى الصيف قبل الطائر الصدوح
حين حلا النوم وطاب المضجع * وأنكر الحر ولذ المهجع
فقرب الزاد الى نيام * ألسنهم ثقيلة الكلام
والمغنى عارض فى حلقه * ودمعة قد قدحت فى عينه
وان أردت الشرب بعد الفجر * والصيف قد سل سيوف الحر
فساعة ثم تجيك الدامغة * بنارها ولا تسوغ سائغة
ويسخن الشراب والمزاج * ويكثر الخلاف والضجاج
من معشر قد جرعوا الحميما * وأطعموا من زادهم سموما
وصار ريحان لهم كالقت * وكلهم لكلهم ذو مقت
وبعضهم عند ارتفاع الشمس * يحس جوعا مؤلما للنفس
وان دعى السوق بالطعام * خيط جفنيه على المنام
لم يالف الادنس الاثواب * مهوسا يسىء للاصحاب
ذا شارب وظفر طويل * ينفض الزاد على الاكيل
ومقلة مبيضة المآق * وأذن كقرنة الدرياق
وجسد عليه جلد من وسخ * كأنه شرب نفطا أو لبخ
هذا كذا وما تركت أكثر * فبر بوا ما قلته وفكروا

وله أيضا
لاتدعنى لصبوح * ان الغبوق حبيبي
فالليل لون شبابي * والصبح لون مشيبي

وابعضهم
الوجه مثل الصبح مبيض * والشعر مثل الليل مسود
ضدان لما استجمعا حسنا * والضد يظهر حسنه الضد

وللبستي
بدا لى فى الصبا لما بدا لى * نهار الشيب فى ليل القذال
كان الشعر شرب كان صفوا * فشابته الليالى بالقذالى

(باب مدح السماع)

قال بعض الفلاسفة أمهات لذات الدنيا أربع لذة الطعام ولذة الشراب ولذة النكاح ولذة السماع فاللذات الثلاث لاوصول الى كل الا بحركة وتعب ومشقة ونصب ولها مضار اذا استكثر منها وأما لذة السماع قلت أو كثرت صافية من التعب خالصة من النصب خالية من الوصب (وقد) نظم ذلك من قال

وجدت رئيسة اللذا * ت أربعة متى تحسب * فنهالذة المنكح *
والمطعم والمشرب * وتبقى بعدها أخرى * من الصوت الذى يطرب
وهذى قد تفيد النفس ابهاجا ولا تنصب
وما من لذة من تلك الاوهى قد تتعب

(قال) مؤلف الكتاب ومن خصائص السماع انه لايحجزه ولايحجبه شئ وان الجمع بينه وبين كل عمل ممكن وان الابل والخيل تستطيبه وترقص عليه والصبيان الرضع تستلذه وتسكن اليه والوحوش والطيور تسكن الى فائقه وتعرج عليه (وكان) بعض فقهاء المتكلمين يقول قد اختلف الناس فى السماع فاباحه قوم وحظره آخرون وأنا أخالف الفريقين فاقول انه واجب لكثرة منافعه ومرافقه وحاجة الناس اليه وحسن أثر استماعها به (وكان) عبد الله بن جعفر يقول انى لاجد للسماع أريحية ولو سئلت عندها أعطيت ولو قاتلت أبليت وسمع معاوية عند عبد الله بن جعفر الغناء فحرك رأسه ورجليه وصفق بيديه ثم لما أتاب رأيه اليه قال كالمعتذر منه ان الكريم طروب ولاخير فيمن لايطرب (وكان) مروان بن أبى حفصة اذا تغدى عند اسحق الموصلى يقول له أطعموا آذاننا رحمكم الله (وكان) يحيى بن خالد البرمكى يقول خير الغناء ما أشجاك وأبكاك وأطربك وألهاك (ويقال) ان الغناء غذاء الروح

كما أن الطعام والشراب غذاء البدن ومن أحسن ما قيل فى الغناء قول بعضهم
غنت فلم تبق فى جارحة * الا تمنيت انها أذن

(باب ذم السماع)

قال الحطيئة لقوم نزل بهم جنبوا مجلسنا الغناء فانه رقية الزنا (وسمع) سليمان بن عبد الملك ذات ليلة فى معسكره غناء فامر بصاحبه أن يخصى ثم قال ان الفرس ليصهل فتستودق الرمكة وان الجمل ليرغو فتستضبع له الناقة وان الرجل ليغنى فتغتلم له المرأة (وكان) الكندى يقول لابنه اياك والسماع فانه برسام حاد وذلك ان المرء يسمع فيطرب ويطرب فيسمع ويسمع فيعطى ويعطى فيفتقر ويفتقر فيهتم ويهتم فيمرض ويمرض فيموت (وكتب) البديع فى رقعة الى تلميذ له توفى أبوه وخلف مالا يامولاى ذلك المسموع من العود يسميه الجاهل نقرا والعاقل فقرا بل وقرا وذلك الخارج من الناى هو اليوم فى الآذان زمر وغدا فى الابواب سمر والعمر مع هذه الآلات ساعة والقنطار فى هذا العمل بضاعة (وطلب) بعض المغنين جائزة من بعض المحلصين فقال المسؤل له اعلم ان المال روح والغناء ريح ولست أشترى الريح بالروح (ونظمه) الشيخ الامام فقال

ألا ان الغناء للمرء روح * وان غناه فى الآذان ريح
وما يحصل عقلا ودينا * ليذهب منه بين الريح روح

(باب مدح الزجاج)

(مدح) سهل بن هارون الزجاج ووصفه فى بعض مجالس الملوك فقال الذهب مخلوق والزجاج مصنوع وفضيلة الذهب بالصلابة وفضيلة الزجاج بالصفاء ثم ان الزجاج أبقى على الدفن وهو مجلو نورى والذهب متاع سائر والشراب فى الزجاج أحسن منه فى كل جوهر ولا يفقد معه وجه النديم ولا يثقل فى اليد ولا يرتفع فى السوم وقدور الزجاج أطيب من قدور الحجارة وهى لاتصدأ وان اتسخت فالماء وحده لها جلاء ومتى غسلت بالصابون صارت جددا والزجاج أشبه شئ بالماء وصنعته عجيبه وصفته غريبه وصياغته أغرب وأعجب ومن كرع فيه لشرب ماء فكأنما يشرب فى اناء من ماء وهواء وضياء ومرآته المركبة فى الحائط أضوأ من مرآة الفولاذ والصور فيها أبين وقد تقدح النار من قنينية الزجاج اذا كان فيها ماء محاذ عين الشمس لان طبع الزجاج والماء

والهواء والشمس من عنصر واحد وليس فى كل مايدور الفلك عليه جوهر أقبل لكل صبغ واجدر أن لا يفارقه منه حتى كان ذلك الصبغ جوهره ومتى سقط عليه ضياء أنفذه الى الجانب الآخر وأعاره لونه وان كان الجام ذا ألوان أراك بياض البيت أحسن من وشى صنعاء ومن ديباج تستر ولم يتخذ الناس آنية أجمع لما يريدون منه وقال الله تعالى عز ذكره قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير وقال عز ذكره وأكواب كانت قوارير قوارير من فضة قدروها تقديرا واشتق الفضة من اسمها على ان الزجاج أقطع من السيف وأحد من الموسى واذا وقع المصباح على جوهر الزجاج صار مصباحا آخر ورد كل واحد منهما الضياء على صاحبه واعتبر واذلك الشعاع الذى على وجه الماء وعلى الزجاج ثم انظروا كيف يتضاعف نوره حتى يكاد يغشى عين الناظر اليه قال الله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة وكان سليمان بن دواد عليهما السلام اذا عب فى الاناء كلحت فى وجهه مردة الجن والشياطين فعلمه الله صنعة الزجاج

(باب ذم الزجاج)

أحسن ماذم به الزجاج قول النظام فانه أخرجه فى كلمتين بأوجز لفظ وأتم معنى فقال يسرع اليه الكسر ولا يقبل الجبر ومن هنا قال الشاعر

احرص على حفظ القلوب من الاسى * فرجوعها بعد التنافر يعسر
ان القلوب اذا تنافر ودها * مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

وقال آخر وهشيم الزجاج أرجى صلاحا * من فساد القلوب بعد الصلاح

(قال مؤلف الكتاب) ليس الزجاج من حسن المتاع وهو على مدرجة الهلاك والضياع لان الآفات ترفرف عليه والعاهات تسارع اليه وكلما كان أثمن وأقوم كان الخطر فيه أشد وأعظم ومالاحتياط على ماله من غالى به وأسرف فى ثمنه * وكتب مروان بن محمد الى بعض الخوارج انى وايالك كالحجر والزجاجة ان وقع عليها رضها وان وقعت عليه فضها وكما قال الشاعر

وآلت يمينا كالزجاج رقيقة * وما حلفت الا لتحنث من أجلى

وقال السرى يعاتب صديقا له على سر أذاعه

سر لديك كاسرار الزجاجة لا * يخفى على العين منها الصفو والكدر

فاحذر من السر كسر الانجبار له * فللزجاجة كسر ليس يجبر

وقال ابن علان النهروانى للزجاج النحوى

لك عهد قد جبرنا * ه فأعينا صدوعه فاذا ودك مما * كنت بالامس تبيعه

(باب مدح الذهب)

(قال) شداد الحارثى الذهب أبقى الجواهر على الدفن وأصبرها على الماء وأقلها نقصانا على النار وهو أوزن من كل شئ اذا كان فى مقدار شخصه وجميع جواهر الارض اذا وضع على الزئبق فى اناء طفا ولو كان ذا وزن ثقيل وحجم عظيم ولو وضعت عليه قيراطا من الذهب لرسب حتى يضرب قعر الاناء ولا يجوز ولا يصلح أن تشد الاسنان المنتزعة بغيره ولا يوضع فى مكان الانوف المصطلمة سواه وميله أجود الاميال وأهل الهند تهزه فى العين بلا كحل ولا ذرور لصلاح طبعه وموافقة جوهره لجوهر الناظرين وله حسن وبهاء فى العيون وحلاوة فى الصدور ومنه الزريابات والصفائح التى تكون فى سقوف الملوك وعليه مدار التبايع منذ الزمان الاول والدهر الاطول وهو ثمن لكل شئ وهو فوق الفضة مع حسنها وكرمها بأضعاف وأضعاف أضعاف والارض التى تنبته ويسلم عليها تحيل الفضة الى جوهرها فى السنين اليسيرة والمدة القصيرة وتقلب الحديد الى طبعها فى الايام القليلة والاوقات الضئيلة والطبخ الذى يكون فى قدره أغذى وأمرأ وأصح فى الجوف وأطيب (وسئل) أمير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه عن الكبريت الاحمر فقال هو الذهب وقال النبى صلى الله عليه وسلم لو أن لى طلاع الارض ذهبا لافتديت به من هول المطلع فاجراه فى ضرب المثل به كل مجرى وقال الله تعالى حكاية عن شأن الكفار ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به فدل على عزته وعظم قدره وقال أبو يزيد البلخى معلوم أنه ليس من الجواهر الموجودة فى العالم أطول بقاء من الذهب لما نرى من انقضاء الزمان بدوس فساد يعرض عليه حتى ان العامة لتحكم بانه جوهر لا فساد فيه البتة وانما خص بهذا البقاء الطويل وابطاء آفات التغير بسبب اعتدال مزاجه فى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فان كل ما خرج من الاشياء المركبة عن الاعتدال الى افراط كيفية من الكيفيات الاربع أسرع اليه الفساد لغلبة تلك الكيفية ولذلك الفساد الذى هو ضد الكون سببه الخروج عن الاعتدال ولصحة

مزاجه لم يوجد فيه صدأ كغيره من الجواهر والسهولة التي فيه لم توجد في غيره اذ كل ماعداه يكسب الاطعمة والاشربة المجعولة فيه نوعا من فساد الطعم والرائحة وكل ما أكل وشرب فيه وجد سليما من هذا العارض ولذلك اختار الملوك العظماء الاكل والشرب فيه ووعد الله عباده به في دار الثواب فقال سبحانه يطاف عليهم بصحاف من ذهب كما قال في باب الحلية والزينة جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب وذلك لما كانت العادة به من متنعمي الملوك في هذه الدنيا بان يحلوا أعضاءهم الشريفة بالذهب وكذلك شأنهم اذا بالغوا في اكرام من يقفون منه على بلاء عظيم في الحرب والدفاع عن حوزة الملك وجلالة قدره ماحكى الله عز اسمه في قصة موسى عن فرعون فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب * ومن أحسن ماقيل في وصف الذهب قول قدامة حكيم المشرق الذهب نسيم مركوم وشعاع معقود فأتى بعلة عجيبة حيث ذكر انه شعاع الشمس وقد انعقد فصار جادا * وفي المبهج الذهب خير مال حاضر لباد أو حاضر (وقال أيضا) من ملك الصفر والبيض ابيض وجهه واخضر عيشه واسود وجه عدوه

(باب ذم الذهب)

قال سهل بن هرون الذهب اسم يتطير منه ولا يتفاءل به ومن لؤمه اسراعه الى بيوت اللئام وابطاؤه عن بيوت الكرام (المتنبي في معناه)

شبيه الشئ منجذب اليه * وأشبهنا بدنيانا الطغام
وما أنا منهم بالعيش راض * ولكن معدن الذهب الرغام

والذهب فتان لمن أصابه ويقال الذهب من مصائد ابليس ولذلك قالوا أهلك الرجال الاحمران وقلت في المبهج ما أسرع ذهاب الذهب وانفضاض الفضة

(باب مدح الشطرنج)

أحسن مافيه قول ابن المعتز

يا عائب الشطرنج من جهله * وليس في الشطرنج من باس
في فهمها علم وفي لعبها * شغل عن الغيبة للناس
وتذهل العاشق عن عشقه * وصاحب الكاس عن الكاس
وصاحب الحرب بتدبيرها * يزداد في الشدة والباس
وأهلها في حسن آدابهم * من خير أصحاب وجلاس

وقال ابن الرومي في معناه يمدح الشطرنج والنديم أحسن

فتى نصب الشطرنج كيما يرى بها * عواقب لا تسمو بها عين جاهل
وأجدى على السلطان في ذاك انه * يريد بها كيف اتقاء الغوائل
وتصريف مافيها اذا ما اعتبرته * مثال لتصريف القنا والقنابل
تأمل بجاه في دقائق هزله * تجده بجاه في الخطوب الجلائل

(وسئل) محمد المزني عن المتلاعبين بالشطرنج فقال اذا سلمت أيديهما من الضرب والخسران وألسنتهما من الفحش والعدوان وصلاتهما من السهو والنسيان كانت أدبا بين الاخوان والخلان * وكان المأمون يقول عجبت من ذراع في ذراع يدبرها العقلاء منذ دهر طويل فلم يقفوا لها على غاية (وكان) سعيد بن جبير رضي الله عنه يقول ماوضع هذا الشطرنج الا لامر عظيم

(باب ذم الشطرنج)

ذكر الصولي في كتاب شعراء مصر أن الخراساني الشاعر كان حاذقا بلعب الشطرنج فعابها الحسين بن محمد مكايدة له فقال صاحبها أبدا مشغول مهموم يحلف بالله كاذبا ويعتذر مبطلا ويشتم نفسه ويخاطر به وكل صناعة لا تجوز المكابرة فيها غير هافان صاحبها يغلب في ساعة فتنقضي دعواه وهي لعب الصائم اذا جاع والعامل اذا عزل والمحموم حتى يفيق وانما هي خشب هزم خشبا ولعب أورث من غير طائل تعبا ثم ان الرجل ليسأل عن غلامه فيقال هو يلعب فيضرب به ولا يستحي أن يقول تعالوا حتى نلعب الشطرنج وأنت تقول في الكناسي ما أحذقه وفي الطنبوري ما أضربه فاذا عبرت عن الشطرنجي قلت ما ألعبه فما تقول في العبارة عن صناعة الكناس أحسن من العبارة عن صاحبها * وفي كتاب يتيمة الدهر ما ألف هذا الكتاب ان أبا القاسم الكسروي كان يبغض الشطرنج ويذمها ولا يقارب من يشتغل بها ويطنب في ذكر عيوبها ويقول لا ترى شطرنجيا غنيا الا بخيلا دنيا ولا فقيرا الا طفيليا ولا تسمع نادرة باردة الا على الشطرنج فاذا أجرى شئ منها قيل جاء الزمهرير ولا يتمثل بها الا فيما يعاب و يكره فاذا أخذت البشلزان قيل قد فرزنت واذا كان مع الغلام الصبيح رقيب ثقيل قيل معه فرزن بند واذا استحقر قدر الانسان قيل كانه بيدق الشطرنج واذا رؤى طفيلي يكثر الاكل على المائدة ويسيء الادب في المؤاكلة قيل انظروا الى يدهذا

الكشحان كانها الرخ فى الرقعة واذا رؤى زيادة لايحتاج اليها قيل زيد فى الشطرنج بغل واذا سب رجل ساقط المروءة قيل من أنت فى الرقعة واذا ذكر وضيع ارتفع قيل متى تفرزنت يابيدق

(باب مدح النرجس)

قال جالينوس من كان له رغيفان فليجعل أحدهما فى ثمن النرجس لان الخبز غذاء البدن والنرجس غذاء الروح (وكان) أنوشروان ينظر الى النرجس و يشبهه بالعيون و يقول انى لاستحى أن أجامع فى بيت فيه نرجس (وكان) الحسن بن سهل يقول من أدمن شم النرجس فى الشتاء أمن من البرسام فى الصيف (ووصف) بعض البلغاء النرجس فقال كان عينه عين وورقه ورق وساقه ذمرذ * وقد اكثر الشعراء فى وصفه فقال أبو نواس

تأمل فى نبات الارض وانظر * الى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات * بابصارهى الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات * بان الله ليس له شريك

ولبعضهم

ياصاح ان وافيت روضة نرجس * اياك فيها المشى فهو محرم
حاكت عيون معذبى بذبولها * ولاجل عين ألف عين تكرم

وابن الرومى فضله على الورد بقوله

خجلت خدود الورد من تفضيله * خجلا تورده عليها شاهد
لم يخجل الورد المورد لونه * الا وناحله الفضيلة عائد
للنرجس الفضل المبين وان أبى * آب وحاد عن الطريقة حائد
فصل القضية أن هذا قائد * زهر الربيع وان هذا طارد
وان احتفظت عليه أمتع صاحب * وعلى المدامة والسماع مساعد
اطلب بعقلك فى الملاح سميه * أبدا فانك لامحالة واجد
والوردان فتشت فى أسمائه * مافى الملاح له سمى واحد
هذى الزهور هى التى قد بينت * بيد السحاب كما يربى الوالد
فانظر الى الاخوين من أدناهما * شبها بوالده فذاك الماجد
أين الخدود من العيون نفاسة * ورياسة لولا القياس البارد

(وله أيضا فيه)

أرى حسن هذا النرجس الغض مخبرا * عن الله أن ليس النبيذ محرما

(باب ذم النرجس)

لما فضل ابن الرومى النرجس على الورد تصدى له الشعراء بالمناقضة والمعارضة فقال ابن الحاجب

ياذا الذى للحق ظل يعاند * وقد استبان له الطريق القاصد
قايست نرجسك الذى فضلته * بالورد ياهذا قياسك فاسد
وعدلت عن عدل الحكومة جائرا * بقضية فيها عليك أواجد
وجعلت أصلك أن هذا قائد * زهر الربيع وان هذا طارد
والنرجس البادى وليس مفضلا * والورد بعد النور أجمع وارد
واذا الجيوش تتابعت فى موكب * فبآخرمنها يجىء القائد
وأجل من عين يشين بياضها * لون من البرقان أصفر بارد
* خد توردلونه لنعيمه * فعليه من خلع الربيع مجاسد
والورد ساق مستقر أصله * والنرجس المضفوف غصن مائد
فتأمل الاثنين أيهما رست * اعراق منصبه فذاك الماجد
ما أخر الورد الخطير مقدما * للنرجس المرذول الاحسد

(وقال أبو العلاء السروى)

انظر الى نرجس تبدت * صحا لعينيك منه طاقه * واكتب أسامى مشبهيه
بالعين فى دفتر الحماقة * وأى حسن يرى لطرف * مع برقان يحل ماقه

(وقال آخر)

كروثة ركبت عليها * صفرة بيض على رقاقه
قد أجاد الورد نحته * فى مقال غير ذى خطل
قال لى أبصرت نرجسة * غضة فى كف ذى غزل
فهى تحكى عين ذى مرض * يقطع الايام بالعلل

(باب مدح الورد)

قال ابن سكرة الهاشمى

للورد عندى محل * لانه لاعلل *
كل الرياحين جند * وهو الامير الاجل

(ولآخر)

كتب الورد الينا * فى قراطيس الخدود

يابنى الصهباصلونى * قدد نا وقت الورود

(وقال أبو الفرج الببغا)

زمن الورد أظرف الازمان * وأوان الربيع خير أوان

أشرف الزهر زادفى أشرف الدهر فضل فيه أشرف الفتيان

وعهدى بغير واحد من الفضلاء يستطرف قول ابن أبى البغل

تمتع من الورد القليل بقاؤه * كأنك لم يعجبك الا فناؤه

ودعه بالتقبيل والشم والبكا * وداع حبيب لا يطول بقاؤه

ومما يدخل على الاذن بلا اذن قول على بن الجهم

زائر يهدى الينا * نفسه فى كل عام * حسن الوجه زكى الـ

ـريح الف للمدام * عمره خمسون يوما * ثم يمضى بسلام

وقوله ما أخطأ الورد منك شيأ * حسنا وطيبا ولا ملالا

أقام حتى اذا أنسنا * بقربه أسرع انتقالا

(وقال) مؤلف الكتاب فى المنهج اذا ورد الورد صدر البرد

(باب ذم الورد)

كان ابن الرومى يذم الورد ويهجنه لانه كان يزكم من رائحته وقد قال فى ذمه وهو من نوادر التشبيه

وقائل لم هجرت الورد مقتبلا * فقلت من قبحه عندى ومن سخطه

كأنه سرم بغل حين أخرجه * عند البراز وباقى الروث فى وسطه

(ولغيره) النرجس الغض لربات الغنج * والورد من شيم رعاع وهمج

أما تراه حين يبدو طالعا * كأنه سرم حمار قد خرج

وبلغنى أن الامير خلف بن أحمد كان ينشد كثيرا قول البستى

لا يغرنك انثنى لين بالمس لانى اذا انتضيت حسام

أنا كالورد فيه راحة قوم * ثم فيه لآخرين زكام

(باب مدح الشتاء)

أحسن ما قيل فيه قول النبى صلى الله عليه وسلم الشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره فصامه وطال ليله فقامه وقد أحسن أبو تمام فى قوله

ان الشتاء على سآمة وجهه * لهو المفيد طلاوة المصطاف

وقال آخر لولا الذى غرس الشتاء بكفه * قاسى المصيف هشائما لاثمر

وقال آخر خضرة الصيف من بياض الشتاء * وابتسام الثرى بكاء السماء

(وقال مؤلف الكتاب) ومن محاسن الشتاء طول الليل الذى جعله الله سكنا ولباسا وبرد الماء الذى هو مادة الحياة وانقطاع الذباب والبعوض وعدم ذوات السموم من الهوام وأمنها على الطعام والاجسام وهو حبيب الملوك وأليف المتنعمين يطيب لهم فيه الاكل والشرب ويجتمع فيه الشمل ويظهر فيه فضل الغنى على الفقير وهو زمان الراحة كما أن الصيف زمان الكدو لذلك قالوا من لم يغل دماغه صائفا لم تغل قدوره شاتيا كما قيل

وان الذى لم يغل صيفا دماغه * وجدك لا تغلى شتاء قدوره

كذلك مقسوم المعايش فى الورى * بسعى ورعى تستبين أموره

(ومدح) بعض الدهاقين الشتاء فقال آكل فيه ما جمعت وأستمتع بما ادخرت وأى شئ أحسن من كانونى فى كانونى ومن لبس الخز والسمور والقعود فى الطوارم مع الاحباب وتناول الدراج والكباب والاستظهار على البرد بالشراب والشرب على الثلج يثلج الصدر وقال بعض الكتاب

ليت الشتاء يعود لى بنعيمه * ان الشتاء غنيمة الكتاب

قصر النهار وطول ليل ممتع * فيه نلذ بقينة وشراب

(باب ذم الشتاء)

أحسن ما قيل فى ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم احذروا البرد فانه قتل أخاكم أبا الدرداء قال بعض السلف الشتاء عدو الدين وهلاك المساكين * وفى الخبر الحر يؤذى والبرد يقتل وقال الجاحظ الشتاء عند الناس هو الكلب الكلب والعدو الحاضر يتأهب له كما يتأهب للجيش ويستعد له كما يستعد للحرق والغرق * وقال مؤلف الكتاب الشتاء عذاب وبلاء وعقاب ولأواء يغلظ فيه الهواء ويستحجر له الماء وتنحجر الفقراء وما ظنك بما يزوى الوجوه ويعمش العينين ويسيل الانوف ويغير الالوان ويقشف الابدان ويميت كثيرا من الحيوان فكم فيه من يوم أرضه كالقوارير اللامعة وهواؤه كالزنابير اللاسعة وليل يحول بين الكلب وهريره

والاسد وزئيره والطير وصفيره والماء وخريره وقال آخر نحن فى الشتاء بين لثق و زلق ودمق وقال الشيخ الامام رحمه الله تعالى

نحن فى شتو تنانى قلق * وتمادى شفق فى فرق
ليس يخلو يومنا والليل من * لثق أو زلق أو دمق

(باب مدح الصيف)

يقال الصيف خفيف المؤنه جليل المعونه كثير النفع قليل الضرر وهو أم الحب والرياحين و بنات البساتين وراحة الفقراء والمساكين وستر الضعفاء والمتخملين والعون على عبادة رب العالمين وطبعه طبع الشباب الذى هو باكورة الحياة كما أن الشتاء طبعه الهرم الذى هو باكورة العدم

(باب ذم الصيف)

فى الحديث المرفوع شدة الحر من فيح جهنم وقلت فى المبهج حر الصيف كحد السيف وقلت أيضا

رب يوم هواؤه يتلظى * فيحاكى فؤاد صب متيم
قلت اذ خد حر وجهى * ربنا اصرف عنا عذاب جهنم

(وكتب) بعض الكتاب الى بعضهم أشكو الى مولاى صيفا لا يطيب معه عيش ولا ينفع به ثلج ولا خيش (وكتب آخر) كيف لى بالحركة وقد قوى سلطان الحر وفرش بساط الجر لاسيما فيه الهاجرة التى هى كقلب المهجور والتنور المسجور (وكتب آخر) لا مرحبا بالصيف من ضيف فهو عون على الحيات والعقارب وأم الذباب والحنافس ونظر البق الذى هو آفة الخلق ثم قال فيه

من كل سائلة الخرطوم طاغية * لا يحجب السجف مسراها ولا الكلل
طاف إعلينا وحر الصيف يطبخنا * حتى اذا نضجت أجسامنا أكلوا

(باب مدح المطر)

قال الله تعالى وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته يعنى المطر وكان النبى صلى الله عليه وسلم يكشف رأسه للمطر تعرضا لرحمة الله تعالى وقال عز وجل وأنزلنا من السماء ماء طهورا وقال سبحانه وتعالى ونزلنا من السماء ماء مباركا * وكان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يقول من كان له داء قديم فليستوهب امرأته درهما من مهرها وليشتر به عسلا و يشربه بماء السماء ليكون قد اجتمع له الهنيء والمريء

والشفاء والمبارك وهو مأخوذ من قوله تعالى فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا وقوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس وقوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء مباركا وكان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يقول المطر بعل الارض يعنى أنه يلقحها ومنه أخذ ابن المعتز قوله

ومزنة مشعلة البوارق * تبكى على الارض بكاء العاشق
تلقح بالقطر بطون الثرى * والقطر بعل التربة العاتق

(وقال بعض البلغاء) مرحبا بالغيث الذى أغاث الانام وأروى الهضاب والاكام وأحيا النبات والسوام وقال آخر يا فرحتا بالغيث الذى أحيا الورى وروى الثرى ونبه عيون النور من الكرى وقال أبو تمام

غيث أتانا مؤذنا بخفض * قضت به السماء حق الارض * يمضى و يبقى نعمة لا تمضى

وقال أحمد بن أبى طاهر

وعارض مبتسم قد استهل * ومد أطناب الغمام وأطل
حتى اذا أثرى الثرى من وبله * واخصب الجدب تولى وارتحل
كم أنزل الله به من رحمة * ومن حياة بحياه اذ نزل

(وقال مؤلف الكتاب)

أتى هذا النثار على نظام * وجاء الخير اذ جاد الغمام
فللوسمى فى أرضى بكاء * وللزرع ابتهاج وابتسام

(باب ذم المطر)

كان يقال المطر مفسد الميعاد و يقال الغيث لا يخلو من الغيث وقلت فى المبهج قد عاقت الامطار عن الاوطار وحالت الاوحال عن الوصال وقال أبو نواس

هو الغيث الا أنه باتصاله * اذا ليس قول الله فيه بباطل
لئن كان أحيا كل رطب ويابس * لقد حبس الاحباب وسط المنازل

وقال أبو على البصير

من تكن هذه السماء عليه * نعمة أو يكن بها مسرورا
فلقد أصبحت علينا عذابا * ولقينا منها أذى وشرورا
صيرت منزلى خرابا ومن عا * دتها أن تخرب المعمورا

أيها الغيث كنت بؤسا وقفرا * لى وللناس حنطة وشعيرا

وقال أيضا رحمة صيرت على عذابا * تركت منزلى خرابا يبابا

لم تدع لى بها ولا لعيالى * سقف بيت يكف عنى السحابا

(وقال ابن المعتز)

رويدا فما نزداد يارب من حيا * وأنت على مافى النفوس شهيد

سقوف بيوتى صرن أرضا أدوسها * وحيطان دارى ركع وسجود

(باب مدح القمر)

(قال مؤلف الكتاب) القمر هو نور الله عز وجل وأحد النيرين وهو الذى يجعل الليل نهارا وبه يشبه كل وجه حسن ويتمثل به فى كل خير (وفيما يقول الناس) من حكاياتهم أن اعرابيا نام ليلة عن جمله ففقده فلما طلع القمر وجده فرفع الى الله يديه وقال أشهد أنك قد أعليته وجعلت السماء بيته ثم نظر الى القمر فقال ان الله صورك ونورك وعلى البروج دورك واذا شاء قورك ولو شاء كورك فلا أعلم مزيدا أسأله لك فلئن أهديت الى قلبى سرورا لقد أهدى الله اليك نورا ثم أنشد يقول

ماذا أقول وفيك القول ذو خطل * كفيتنى فيك ذا التفصيل والجملا

ان قلت لازلت علويا فأنت كذا * أو قلت زالت فانك ربى فهو قد فعلا

(باب ذم القمر)

أبلغ ماقيل فى ذلك وأجمعه قول بعض الظرفاء الادباء ممن يسكن الدار بكراء وقد قيل له انظر الى القمر ما أحسنه فقال والله ما أنظر اليه لبغضى فيه قيل ولم ذلك قال لان فيه عيوبا لو كانت فى حمار لردبالعيب قيل وماهى قال مايصدقه العيان ويشهد به الاثر فانه يهدم العمر ويقرب الاجل ويحل الدين ويوجب كراء المنزل ويقرض الكتان ويغير الالوان ويسخن الماء ويفسد اللحم ويورث الزكام ويعين السارق ويفضح العاشق الطارق وقال ابن المعتز فيه

ياسارق الانوار من شمس الضحى * ماشكل نورك فى الدجا منغصى

أما ضياء الشمس فيك فناقص * وأرى زيادة حرها لم ينقص

لم يظفر التشبيه منك بطائل * متسلح بهقا كوجه الابرص

(باب مدح السفر)

قد مدح الله تعالى المسافرين فقال وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله وأمر جل اسمه بالسفر فقال فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله وقال جل وعلا هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور (وفى الخبر) سافروا تغنموا وتصحوا وفى رواية تصحوا وتغنموا وفى التوراة ابن آدم جد سفرا أجدد لك رزقا (ولبعضهم)

فسر فى بلاد الله والتمس الغنى * تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

ولا ترض من عيش بدون ولا تنم * وكيف ينام الليل من كان معسرا

وقول العامة كلب جوال خير من أسد رابض (ولبعضهم)

أدور من المعالى منتهاها * ولا أرضى بمنزلة دنيه

فاما نيل غاية ما أرجى * واما أن توسدنى المنيه

(ولآخر) ان كنت ترضى بالدنية منزلا * فالارض حيث حللتها لك منزل

فاذا عزمت على المعالى فاخترط * عزما كما عزم الرجال النزل

وقال آخر واذا الديار تنكرت عن حالها * فدع الديار وسارع التحويلا

ليس المقام عليك فرضا واجبا * فى بلدة تدع العز ذليلا

واذا بكيت على زمان قد مضى * حتى يعود لتبكين طويلا

(وقال أحد الحكماء) السفر أحد أسباب المعاش التى بها قوامه ونظامه لان الله تعالى لم يجمع منافع الدنيا فى أرض بل فرقها وأحوج بعضها الى بعض ومن فضله أن صاحبه يرى من عجائب الامصار وبدائع الاقطار ومحاسن الآثار ما يزيده علما ويفيده فهما بقدرة الله وحكمته ويدعوه الى شكر نعمته ويسمح النجائب ويكسب التجارب ويفتح المذاهب ويجلب المكاسب ويشد الابدان وينشط الكسلان ويسلى الاحزان ويطرد الاسقام ويشهى الطعام ويحط سورة الكبر ويبعث على طلب الذكر وقال حاتم طى

اذا لزم الناس البيوت رأيتهم * عماة عن الاخبار خرق المكاسب

(وقال ابن المعتز) أشقى من المسافر الى الامل من قعد فى الناس عن العمل وقال غيره

ليس ارتحالك تزداد الغنى سفرا * بل المقام على بؤس هو السفر

(وفى المبهج) من آثر السفر على القعود فلا يبعد أن يعود مورق العود (وفيه) ربما أسفر السفر عن النظر وتعذر فى الوطن قضاء الوطر

(باب ذم السفر)

فى الحديث المرفوع ان المسافر ومتاعه على قلت الا ما وقى الله * وقيل لبعض الحكماء ان السفر قطعة من العذاب فقال لا بل العذاب قطعة من السفر ونظمه من قال

ان العذاب قطعة من السفر * يارب فاردد نى الى ربق الحضر

وكان الحجاج يقول لولا فرحة الاياب لما عذبت أعدائى الا بالسفر وكان بعض الحكماء يقول السفر والسقم والقتال ثلاثة لثلاث السفر سفينة الاذى والسقم حريق الجسد والقتال ينبت المنايا (وقيل) السفر متعب مكرب والحديث يقصره ويسلى كربه (وكان يقال) طول السفر ملالة وكثرة المنى ضلالة * وكان النبى صلى الله عليه وسلم يتعوذ من وعثاء السفر ويقال خمسة يعذرون على سوء الخلق المريض والمسافر والصائم والمصاب والشيخ (وفى المبهج) رب سفر كتصحيفه أردت رب سفر كسقر

(باب مدح الغربة)

من أحسن ما قيل فى ذلك قول البرقعى

اذا النار ضاق بها زندها * ففسحتها فى فراق الزناد
اذا صارم قر فى غمده * حوى غيره الفضل يوم الجلاد
وفى الاضطراب وفى الاغتراب * منال المنى وبلوغ المراد

وكان يقال ليس بينك وبين بلدك نسب غير البلاد ما حلك وجلك * وقال بعض الحكماء اهجر وطنك اذا نبت عنه نفسك وأوحش أهلك اذا كان فى ايحاشهم أنسك

وقال آخر فلان تشرق أو تغرب طالبا * وتكون فى الاقبال والادبار
خير وأكرم بالفتى من عيشة * ضنك يقوم بها على اقتار

وكان سهل بن مروان يقول لست ممن يقطع نفسه بصلة وطنه * ومن مشهور ما ينشد قوله لا يمنعك خفض العيش فى دعة * نزوع نفس الى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد ان حللت بها * أهلا باهل وجيرانا بجيران

(وقال آخر) الفقر فى أوطاننا غربة * والمال فى الغربة أوطان
والارض شئ كله واحد * ويخلف الجيران جيران

وقال غيره اذا نلت فى أرض معاشا وثروة * فلا تكثرن فيها النزوع الى الوطن
فما هى الا بلدة مثل بلدة * وخيرهما ما كان عونا على الزمن
ولابى فراس والمرء ليس ببالغ فى أرضه * كالصقر ليس بصائد فى وكره
وقال الطريفى أرى وطنى كعش لى وكن * أسافر عنه فى طلب المعاش
ولولا أن كسب القوت فرض * لما برح الفراخ من العشاش

(وللبستى) لئن تنقلت من دار الى دار * وصرت بعد ثواء رهن أسفار
فالحر حر عزيز النفس حيث أتى * والشمس فى كل برج ذات أنوار

(باب ذم الغربة)

(كان يقال) النقلة مثلة والغربة كربة والفرقة حرقة (وقال بعض الحكماء) الغريب كالغرس الذى زايل أرضه وفقد شربه فهو ذاو لا يزهر وذابل لا يثمر ويقال الغريب كالوحش النائى عن وطنه فهو لكل رام رمية ولكل سبع فريسة (وقال آخر) الغريب كاليتيم الفطيم الذى ثكل أبويه فلا أم ترأمه ولا أب يرأف عليه ويقال عسرك فى بلدك خير من يسرك فى غربتك (ونظمه من قال)

لقرب الدار فى الاقتار خير * من العيش الموسع فى اغتراب

(وكان يقال) اذا كنت فى بلد غيرك فلا تنس نصيبك من الذل ولبعضهم

يانفس ويحك فى التغرب ذلة * فتجرعى كأس الاذى وهوان
واذا نزلت بدار قوم دارهم * فلهم عليك تعزز الاوطان

وقال آخر ما من غريب وان أبدى مكابدة * الا تذكر بعد الغربة الوطنا

(وقال النابغة) خلى فى ديارك ان قوما * متى يدعوا ديارهم يهونوا

(وقال الاعشى)

ومن يغترب عن قومه لم يزل يرى * ملوما ومظلوما مجرا ومحسبا
وتدفن منه الصالحات وان يسئ * يكن ما أساء النار فى رأس كوكبا

(وقال آخر) وينأمن عن دار العشيرة لم يزل * عليه رعود جمة وبروق

(وقال العتابى)

فيا ابن أبى لا تغترب ان غربتى * سقتنى بكف الضيم ماء الحناظل

(وقال آخر) وان اغتراب المرء من غير خلة * ولا همة يسمو لها لعجيب

وحسب الفتى ذلا وان أدرك الغنى * ونال ثراء أن يقال غريب

(وقال آخر) طلب المعاش مفرق * بين الاحبة والوطن
ومصير جلد الرجا * ل الى الضراعة والوهن

وقال البستى لايغدم المرء كنا يستكن به * ومتعة بين أهليه وأصحابه
ومن نأى عنهم فاتت مهابته * كالليث يحقر لما غاب عن غابه

(باب مدح الفراق)

(قال بعض الحكماء) فى الفراق مصافحة التسليم ورجاء الاوبة والسلامة من السآمة وعمارة القلب بالشوق والانس بالمكاتبة قال أبو تمام

وليست فرحة الاوبات الا * بموقوف على ترح الوداع

وكتب بعض الكتاب جزى الله الفراق خيرا فماهو الا زفرة وعبرة ثم اعتصام وتوكل ثم تأميل وتوقع وقبح الله التلاقى فانماهو مسرة لحظة ومساءة أيام وابتهاج ساعة واكتئاب زمان وقال انى لا كره الاجتماع ولا أكره الفراق لان مع الفراق غمة يخفيها توقع اسعاف بتأميل الاوبة والرجعى ومع الاجتماع محاذرة الفراق وقصر السرور وقال الشاعر

ليس عندى سخط النوى بعظيم * فيه غم وفيه كشف غموم
من يكن يكره الفراق فانى * أشتهيه للذة التسليم
ان فيه اعتناقة لوداع * وانتظارا عتناقة لقدوم

(وقال) بعض الظرفاء من الكتاب ان قلت انى لم أجد للرحيل ألما وللبين حرقة لقلت حقا لانى نلت به من العناق وأنس اللقاء ما كان معدوما أيام الاجتماع ومما يليق قول البحترى فاحسن بناوالدمع بالدمع واكف * غمازجه والخد بالخد ملصق

وقد ضمنا وشى الفراق ولفنا * عناق على أعناقنا ثم ضيق
فلم نر الا مخبرا عن صبابة * بشكوى والا عبرة تترقرق
ومن قبل قبل التشكى وبعده * نكاد بها من شدة اللثم نشرق

ولو فهم الناس الفراق وحسنه * لحبب من أجل التلاقى التفرق

(وقال غيره) آه من حر دمعة المشتاق * ما ألذ البكاء عند الفراق
لذة الدمع عند بين حبيب * كعناق الحبيب وقت التلاقى

(باب ذم الفراق)

(كان يقال) ماخلق الفراق الا لتعذيب العشاق ويقال فراق الاحباب سقام الالباب وقال آخر حق الفراق أن تطير له القلوب وتطيش معه العقول وتطيح عليه النفوس * ويقال فراق الحبيب يشيب الوليد ويذيب الحديد * ويقال هول السياق أهون من الفراق وقال النظام لو كانت للفراق صورة لراعت القلوب وهدت الجبال ولجر الغضى أهون توهجا من ناره ولو عذب الله أهل النار بالفراق لاستراحوا الى ماقبله من العذاب وقال الشاعر

لو أن مالك عالم بجوى الهوى * وفعاله بأضالع العشاق
ماعذب الكفار الا بالهوى * واذا استغاثوا غاثهم بفراق

(وقال آخر)

لو دار مرتاد المنية لم يجد * غير الفراق الى النفوس دليلا
انى نظرت الى الفراق فلم أجد * للموت لو فقد الفراق سبيلا

فاخذه أبو الطيب المتنبى فقال

لولا مفارقة الاحباب ماوجدت * لها المنايا الى أرواحنا سبلا

ولابى العباس أحمد بن ابراهيم بن أحمد الضبى

لاتركنن الى الفرا * ق فانه مر المذاق
فالشمس عند غروبها * تصفر من ألم الفراق

(وقال بعض البلغاء) لاغرو أن يفرق الفراق بين الروح والبدن ويترك المبتلى به والاشتياق فى قرن

(باب مدح البكاء)

(كان) يوسف عليه السلام اذا برح به الحزن على أبيه دخل وصب عبرته ثم خرج

(فصل) لابى بكر الخوارزمى ان الفجيعة اذا لم تحارب بجيش من البكاء ولم يخفف من أثقالها بشئ من الاشتكاء تضاعف داؤها وزاد اعياؤها وعز دواؤها

(فصل) لأبى اسحق الصابى ان فى اسبال العبرة واطلاق الزفرة والاجهاش والنشيج واعلان الصياح والضجيج تنفيسا من برحاء القلوب وتخفيفا من أثقال الكروب (وقال امرؤ القيس)

وان شفائى عبرة مهراقة * فهل عند رسم دارس من معول

وقال آخر وبكيت ليلة هجرها من وصلها * وجرت مدامع أعينى كالعندم

أبكى وأمسح مدمعى فى جيدها * من عادة الكافور امساك الدم

وقال آخر ومافى الارض أشقى من محب * وان وجد الهوى حلو المذاق

تراه باكيا أبدا حزينا * لخوف تفرق أو لاشتياق

فيبكى ان نأوا شوقا اليهم * ويبكى ان دنوا خوف الفراق

وقال غيره لولا مدامع عشاق ولوعتهم * لبان فى الناس عز الماء والنار

فكل نار فمن أنفاسهم قدحت * وكل ماء فمن دمع لهم جارى

وقال ذو الرمة لعل انحدار الدمع يعقب راحة * من الوجد أو يشفى نجى بلابلا

(وقال ابن الرومى فى ذكر العلة فى تخفيف الهم بالبكاء)

الدمع فى العين لا نوم ولا نظر * ولا محالة من معنى له خلقا

ولم أجد ذلك المعنى وحقكما * الا البكاء اذا ماطارق طرقا

وقال أيضا رحمه الله تعالى

ابك فمن أنفع ما فى البكا * ان البكا للحزن تحليل

وهو اذا أنت تأملته * حزن على الحزن محلول

(فصل) لابى الحسن بن أبى القسم القاشانى قد شفيت غليلى بما استدررته من أسراب الدموع المعبره وخففت عنى بعض البرحاء بما امتريته من أخلافها المتحدرة

(باب ذم البكاء)

(قال بعض الحكماء) لبعض الملوك وقد رآه فى مصيبة يبكى ليس يليق بالسلطان ماهو عادة الصبيان والنسوان * وكان محمد بن عبد الملك الزيات يقول ان البكاء من خور الطبيعة وضعف النجيزة وترك البكاء فى الخطوب النزل من أخلاق القوم البزل ولذلك قال الشاعر يبكى علينا ولا نبكى على أحد * لنحن أغلظ أكبادا من الابل

(وقال أبو تمام) فى التجلد وترك البكاء عند المصيبة وقد أحسن

خلقا نارجالا للتجلد والاسى * وتلك الغوانى للبكا والمآتم

وللبحترى واعمرى ما العجز عندى الا * أن تبيت الرجال تبكى النساء

(وقال ابن الرومى فى الرزايا وترك البكاء)

ترحل من هويت وكل شمس * ستكسف أو ستغرب حين تمسى

وما ألهاك عن ذكرى حبيب * كعهدك أمس يوما بعد أمس

أبت نفسى البكاء لرزء شئ * كفى شجوا لنفسى رزء نفسى

أأجزع وحشة لفراق الف * وقد وطنا نهاالحلول رمسى

رأيت الدهر يجرح ثم ياسو * فيومى أو يعوض أو ينسى

(باب مدح الرؤيا)

(قال عكرمة) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم فى قوله تعالى وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث يعنى تاويل الرؤيا * وفى الخبر المرفوع ذهبت النبوة وبقيت المبشرات قيل وما المبشرات يارسول الله قال الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له ثم قرأ لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة وفى الحديث ان الرؤيا جزء واحد من ستة وأربعين جزأ من النبوة ويقال الرؤيا الصالحة قرة للعين وقوة للظهر والهند تقول من رأى رؤيا صالحة فكان كمن لم ينم ومن لم ينم فقد زيد فى عمره لان النوم أخو الموت * وقال بعض العلماء الرؤيا الصالحة بشارة وفى الخبر زيارة * وقال آخر الرؤيا الصالحة هى البشرى بالنعمى (وقال بعض الظرفاء) مرحبا بالرؤيا فانها تجمع بين الحبيبين وان كان بينهما بعد المشرقين

(باب ذم الرؤيا)

أحسن ماقيل فى ذلك قول بعض المجربين لعن الله الرؤيا فخيرها غائب وشرها حاضر وأصدقها ما يوجب الغسل وقال ابن بسام

أرى فى منامى كل شئ يسوءنى * ورؤياى بعد النوم أدهى وأقبح

فان كان خيرا كان أضغاث حالم * وان كان شرا جاءنى قبل أصبح

وفى معناه قول الشاعر

واحلم فى المنام بكل خير * فاصبح لا أراه ولا يرانى

وان أبصرت شرا فى منامى * أتانى الشر من قبل الاذان

(وقال داود المصاب) رأيت رؤيا نصفها حق ونصفها باطل رأيت كانى أعطيت بدرة فمن ثقلها أحدثت فى سراويلى فانتبهت فرأيت الحدث ولم أر البدرة * أنشدنى أبو نصر سهل بن المرزبان للاحنف العكبرى

قيل رؤيا المنام عندك حق * قلت هيهات كل ذاك مجاز

ليس يقظانهم يصح له الامر فكيف المغطغط النحاز

(وحكى) ابن سيرين أن رجلا رأى فى المنام كان له غنما تطلب منه عشرة بعشرة وليس يبيعها فلما انتبه وفتح عينيه لم ير شيأ فغمضهما ومديده وقال هاتوا خمسة خمسة

(باب مدح الهدية)

(فى الخبر المرفوع) تهادوا وتحابوا وفيه تصافحوا فان التصافح يذهب غل الصدور وتهادوا فان الهدية تسل السخيمة قال الشاعر

ان الهدية حلوة * كالسحر تختلب القلوبا
تدنى البعيد من الهوى * حتى تصيره قريبا
وتعيد معتضد العدا * وة بعد نفرته حبيبا

(وقال ابن عائشة) الهدية سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدب الملوك وعمارة المودة بين الاخوان * وكان يقال أهدوا للولاة فانهم ان لم يقبلوا أحبوا وكان الفضل ابن سهل ذو الرياستين يقول ما أرضى الغضبان واستعطف السلطان ولاسلت السخائم ولارفعت المغارم ولا استميل المحبوب ولاتوقى المحذور بمثل الهدية * ومن أحسن ماقيل فى الاهداء الى الملوك قول أحمد بن يوسف المأمونى

على العبد حق فهو لابد فاعله * وان عظم المولى وجلت فضائله
ألم تر أن الله يهدى الى الفتى ماله * وان كان عنه ذا غنى فهو قابله

(وكتب) بعض الكتاب الى صديق له وجدت المودة منقطعة مادامت الحشمة عليها مسلطة وليس يزيل سلطان الحشمة الا المؤانسة ولا تقع المؤانسة لا بالمهاداة والملاطفة (وكتب) أبو العيناء الى بعض الوزراء قد بعثت الى الوزير ببا كورة عنب فان كنت سبقت المهدين لها فلى فضل السبق وان كنت مسبوقا فلى فضل النية ويقال من قدم هدية نال أمنيته ومن قدم المؤنة ظفر بالمعونة وقال بعض السلف نعم الشئ الهدية أمام الحاجة (وقال آخر) الهدية تفتح الباب المغلق وقال آخر الهدايا تذهب الشحناء والهدية رزق الله فمن أهدى اليه فليقبله (وقال بعض العلماء) لعظم خطر الهدية وجلالة قدرها على وجه الدهر قالت ملكة سبا وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون وقال الشاعر

للهدايا فى القلوب مكان * وحقيق بحبها الانسان

وقال الشاعر اذا دخل الهدية دار قوم * تطايرت العداوة من كواها

(باب ذم الهدية)

أهدى الى عمر بن عبد العزيز هدية فردها فقيل له ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقبلها فقال كانت له الهدية هدية وهى لنا رشوة وقد لعن الله الراشى والمرتشى والرائش * وقال بعض السلف الهدية للعامل غلول وفى عمل السلطان رشوة (وأهدى) الى دهقان هدية فكرهها وأظهر الجزع فعاتبه بعض من صاحبه فقال لئن كان ابتدأنى بها انه ليدعونى الى أن أتقلد منه منة ولئن كافأنى على معروف لى عنده انه ليسألنى أخذ ثمن ذلك فمن أى هذين لا أجزع

(باب مدح الدين)

كان عائشة رضى الله عنها تستدين من غير حاجة فقيل لها فى ذلك فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان عليه دين وفى نيته قضاؤه فان الله معه حتى يقضيه فأنا أحب أن يكون الله معى * وقال جعفر بن محمد رضى الله عنهما المستدين تاجر الله فى أرضه وفى الحديث مكتوب على باب الجنة القرض بثمان عشرة والصدقة بعشر أمثالها قيل ولم ذلك يا رسول الله قال عليه الصلاة والسلام ان الصدقة ربما وقعت فى يد غنى عنها وصاحب القرض لا يستدين الا من حاجة وضرورة (دخل) عتبة ابن عمر على خالد القسرى فقال خالد يعرض به ان ههنا رجالا اذا فنيت أموالهم استدانوا فقال عتبة ان رجالا تكون أموالهم أكثر من مروأتهم فلا يدانون ورجالا تكون مروأتهم أكثر من أموالهم فيدانون على بيعة الله فخجل خالد وقال انك منهم وما علمت * ويقال كثرة الدين من علامات المفضلين وقال بعض السلف لان أقرض مالى مرتين أحب الى من أن أتصدق به مرة واحدة وفى الخبر من أراد أن يأخذ دينارا وهو ينوى قضاءه بارك الله فيه وأعانه على قضائه

(باب ذم الدين)

(فى الخبر) لاوجع كوجع العين ولاغم كغم الدين وقال عليه الصلاة والسلام الدين شين الدين وكان يقال صاحب الدين ذليل بالنهار مهموم بالليل وقال بعض السلف الدين غل الله فى أرضه فاذا أراد الله أن يذل عبدا جعل منه طوقا فى عنقه (وقال العتبى) الدين عقلة الشريف * وسأل عمرو بن عبيد عن صديق له فقيل قد توارى من دين ركبه فقال ذاك داء طالما وفد الى الكرام وقال عبد الملك بن صالح

ما استرق الاحرار بمثل الدين * ومن أحسن ماقيل فى هذا الباب قول الخباز البلدى

اذا استثقلت أو أبغضت حلفا * وسرك بعده حتى التنادى

فشرده بقرض درهمات * فان القرض مقراض الوداد

(وقال ابن المعتز) كثرة الدين تصير الصادق كاذبا والمنجز مخلفا

(باب مدح الشباب)

(فى الحديث المرفوع) أوصيكم بالشبان خيرا فانهم أرق أفئدة ان الله بعثنى بشيرا ونذيرا فخالفنى الشبان وخالفنى الشيوخ ثم قرأ فطال عليهم الامد فقست قلوبهم (وكان) عطاء الخراسانى يقول الحوائج الى الشبان أسهل منها الى الشيوخ ألم تر أن يوسف عليه السلام قال لاخوته لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وقال أبوهم سوف أستغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم * وقال الصولى فى كتاب فضل الشباب على الشيب الذى ألفه للمقتدر ان الشيب لايقدم مؤخرا ولا يؤخر مقدما بل ربما عدل بجلائل الامور ومهمات الخطوب عن المشايخ الى الشبان لاستقبال أيامهم وسرعة حركاتهم وحدة أذهانهم وتيقظ طباعهم لانهم على ابتناء المجد أحرص واليه أصبى وأحوج وقد أخبر الله تعالى عن اعطاء يحيى بن زكريا عليهما السلام الحكمة فى سن الصبا بقوله يايحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وذكر الفتية فى كتابه العزيز فى غير ماموضع اذ أوى الفتية الى الكهف وقال انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم وقال فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا (وقال بعض البلغاء) الشباب باكورة الحياة وأطيب العيش أوائله كما أن أطيب الثمار بواكيرها وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال مابعث الله نبيا من الانبياء الا شابا ولا أوتى العلم عالم الا وهو شاب ثم تلا قوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم (وقال الجاحظ) فى قول أبى العتاهية

ان الشباب نجة التصابى * روائح الجنة فى الشباب

معنى كمعنى الطرب الذى تشهد بصحته القلوب وتعجز عن صفته الالسن * ومن أحسن ماقيل فى مدح الشباب والتأسف عليه قول محمد بن حازم الباهلى

لاحين صبر نخل الدمع ينهمل * فقد الشباب بيوم الموت متصل

لاتكذبن فما الدنيا بجمعها * من الشباب بيوم واحد بدل

ولما انشد منصور النمرى الرشيد قوله

ما تنقضى حسرة منى ولا جزع * اذا ذكرت شبابا ليس يرجع

بان الشباب وفاتتنى مسرته * صروف دهر وأيام لها جزع

ما كنت أوفى شبابى كنه عزته * حتى مضى فاذا الدنيا له تبع

بكى الرشيد حتى اخضلت لحيته ثم قال يانمرى لاخير فى دنيا لايحظى فيها بردالشباب

(ومن أحاسن هذا الباب قول ابن الرومى)

لاتلح من يبكى شبيبته * الا اذا لم يبكها بدم * لسنا نراها حق رؤيتها

الا أوان الشيب والهرم * ولرب شئ لايبينه * وجدانه الا مع العدم

كالشمس لاتبدو فضيلتها * حتى تغشى الارض بالظلم

وله أيضا فى نسيب قصيدة

أيا برد الشباب الكنت عندى * من الحسنات والقسم الرغاب

لبستك برهة لبس ابتذال * على علمى بفضلك فى الثياب

ولو ملكت صونك فاعلمنه * لصنتك فى الحرير من الغياب

ولم ألبسك الا يوم نحس * ويوم زيارة الملك اللباب

وقال الشيخ لو قال لصنتك فى الفؤاد من الغياب لكان أولى

(باب ذم الشباب)

يقال الشباب مطية الجهل ومظنة الذنوب وشعبة من الجنون (وقال النابغة)

وان يك عامر قد قال جهلا * فان مطية الجهل الشباب

وقال العتبى قالت عهدتك مجنونا فقلت لها * ان الشباب جنون برؤه الكبر

ويقال سكر الشباب أشد من سكر الشراب (وقال ابن المعتز) جاهل الشباب معذور وعالمه محقور (وكان) يقول نعوذ بالله من ترهات الشبان ونزغات الشيطان وقال أبو الطيب محمد بن حاتم المصعبى وأجاد

لم أقل للشباب فى كنف الله ولا ستره غداة استقلا

زائرا لم يزل مقيما الى أن * سود الصحف بالذنوب وولى

(باب مدح الشيب)

فى الخبر ان الله تعالى يقول الشيب نورى والنار خلقى وأنا أستحى أن أحرق نورى

بنارى (وكان) يقال الشيب حلية العقل وسمة الوقار وقال دعبل الخزاعى

أهلا وسهلا بالمشيب فانه * سمة العفيف وهيئة المتحرج
وكأن شيبى نظم درز زاهر * فى تاج ذى ملك أغر متوج

(وقال طريح بن اسمعيل الثقفى)

والشيب ان يحلل فان وراءه * عمرا يكون خلاله متنفس
لم ينتقص منى المشيب قلامة * ولنحن حين بدا ألذ وأكيس

وكان يقال الشيب زبدة مخضتها الايام وفضة سبكتها التجارب وكان بعض الحكماء يقول اذا شاب العاقل سرى فى طريق الرشد بمصباح الشيب ووصف بعض البلغاء رجلا شاب وارعوى عن مجاهل الشباب فقال ذاك قد عصى شياطين الشباب وأطاع ملائكة الشيب (وقال) على رضى الله عنه مشهد الشيخ خير من مشهد الغلام وقال ابن المعتز عظم الكبير فانه عرف الله قبلك وارحم الصغير فانه أغر بالدنيا منك وكان يقال الشيخ يقول عن عيان والشاب عن سماع وقال أبو تمام

فلا يروعنك ايماض المشيب به * فان ذاك ابتسام الرأى والادب

(وقال أبو السمط)

ان المشيب رداء العقل والادب * كما الشباب رداء اللهو والطرب

وقال دعبل أحب الشيب لما قيل ضيف * كحبى للضيوف النازلينا

(وقال البحترى)

وبياض البازى أصدق حسنا * ان تأملت من سواد الغراب

(وله) عذلتنا فى عشقها أم عمرو * هل سمعتم بالعاذل المعشوق
ورأت لمة ألم بها الشيب فريعت من ظلمة فى شروق
ولعمرى لولا الاقاح لابصر * ت أنيق الرياض غير أنيق
وسواد العيون لولم يملح * بياض ما كان بالموموق
أى ليل يهمى بغير نجوم * وسحاب يندى بغير بروق

(وقال ابن الرومى)

قد يشيب الفتى وليس بعجيبا * أن ترى النار فى القضيب الرطيب

(وللبديع الهمدانى) فصل فى مدح الشيب وذم الشباب جزى الله المشيب خيرا

فانه أتاه ولا رد الشباب فانه هناه وبئس الداء الصبا وليس دواؤه الا انقضاءه وبئس المثل النار ولا العار ونعم الراكضان الليل والنهار وأظن الشباب والشيب لو مثلا لكان الاول كلبا عقورا والآخر شيخا وقورا ولاشتعل الاول نارا واشتهر الآخر نورا فالحمد لله الذى بيض القار وسماه الوقار وعسى الله أن يغسل الفؤاد كما غسل السواد ان السعيد من شابت جلته ولم تخض بالبياض لحيته وقال أيضا فى الشيب

يا من يعلل نفسه بالباطل * نزل المشيب فمرحبا بالنازل
ان كان ساءك طالعات بياضه * فلقد كساك بذاك ثوب الفاضل
لا تبكين على الشباب وفقده * لكن على الفعل القبيح الحاصل
يا غافلا عن ساعة مقرونة * بنوادب وصوارخ وثواكل
قدم لنفسك قبل موتك صالحا * فالموت أسرع من نزول الهاطل
حتام سمعك لا يعى لمذكر * وصميم قلبك لا يلين لعاذل
تبغى من الدنيا الكثير وانما * يكفيك من دنياك زاد الراحل
آى الكتاب تهز سمعك دائما * وتصم عنها معرضا كالغافل
كم للاله عليك من نعم ترى * ومواهب وفوائد وفواضل
كم قد أنالك من موانح طوله * فاسأله عفوا فهو غوث السائل

(باب ذم الشيب)

قال عبيد بن الابرص الشيب شين لمن يشيب وقال قيس بن عاصم الشيب خطام المنية وقال أكثم بن صيفى الشيب عنوان الموت وقال الحجاج الشيب بريد الموت وقال مالك بن أنس الشيب توأم الموت وقال العتبى الشيب مجمع الامراض وقال العتابى الشيب نذير المنية وقال غيره الشيب شر العمائم وقال محمود الوراق الشيب غمام قطره الغموم وقال ابن المعتز الشيب أول مواعيد الفناء وقال القاحم الشيب ناهى الشباب ورسول البلاء وقال غيره الموت ساحل الحياة والشيب سفينة تقرب من الساحل وقال ابن عائشة الشيب قناع الموت وقال يونس النحوى الشيب مجمع كل عيب وقال ابن شكلة الشيب أحد الموتتين ومن أحسن ما قيل فى ذم الشيب قول أبى تمام

غدا الشيب مختطا بغودى خطة * طريق الردى منها الى النفس مهيع
هو الزور يجفى والمعاشر يجتوى * وذو الالف يقلى والجديد يرقع
له منظر فى العين أبيض ناصع * ولكنه فى القلب أسود أسفع
ونحن نرجيه على الكره والرضا * وأنف الفتى من وجهه وهو أجدع

(وللشافعى رضى الله تعالى عنه)

ولذة عيش المرء قبل مشيبه * وقد فنيت نفس تولى شبابها
اذا اسود جلد المرء وابيض شعره * تكدر من أيامه مستطابها

غيره

سألت من الاطبة ذات يوم * طبيبا عن مشيبى قال بلغم
فقلت له على غير احتشام * لقد أخطأت فيما قلت بل غم

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

تضاحكت لما رأت * شيبا نلا لاغره * قلت لها لا تعجبى
أنبيك عندى خبره * هذا غمام للردى * ودمع عينى مطره

وقال آخر

من شاب قدمات وهو حى * يمشى على الارض مشى هالك
لو كان عمر الفتى حسابا * لكان فى شيبه كذلك

(باب مدح الخضاب)

كان يقال الخضاب أحد الشبابين ويقال الخضاب تذكرة الشباب ومن أحسن ماقيل فى مدحه الشيب موتى ولكن فى اماتته * محيا لليال قليلات وأيام

وقال ابن المعتز

وقالوا النصول مشيب جديد * فقلت الخضاب شباب جديد
اساءة هذا باحسان ذا * فان عاد ذاك فهذا يعود

وقال آخر

للضيف أن يقرى ويعرف حقه * فالشيب ضيفك فاقره بخضاب

وأطرف ماقيل فى الخضاب قول عبدان الاصفهانى

فى مشيبى شمانة لعداتى * وهو ناع منغص لحياتى
ويعيب الخضاب قوم وفيه * لى أنس الى حضور وفاتى
لا ومن يعلم السرائر منى * مابه رمت خلة الغانيات
انما رمت أن يغيب عنى * ماترينيه كل يوم مراتى
وهو ناع الى نفسى ومن ذا * سره أن يرى وجوه النعاة

(باب ذم الخضاب)

قال الاسكندر لرجل خضب الشيب هب انك خضبت الشيب فكيف تخضب سائر آثار الكبر (وقال ابن المعتز) الخضاب من شهود الزور وقال ابن الرومى الخضاب حداد الشباب وقال آخر الخضاب كفن الشيب ولبعضهم

ياخاضب اللحية ماتسخى * تشارك الرحمن فى صبغته
أقبح شئ شاع بين الورى * ان الفتى يكذب فى لحيته

غيره قالت أراك خضبت الشيب قلت لها * سترته عنك ياسمعى ويابصرى
فقهقهت ثم قالت ان ذا عجب * تكاثر الغش حتى صار فى الشعر

(وقال محمود الوراق)

ياخاضب الشيب الذى * فى كل ثالثة يعود
ان النصول اذا بدا * فكأنه شيب جديد
بدوية روعية * مكروهها أبدا عتيد
فدع المشيب كما أرا * دفلن يعود كما تريد

(وقال آخر) خضبت شيبى ليخفى * وكان ذاك لعله
فقيل شيخ خضيب * قد زاد فى الطين بلة

وقال آخر ياخاضب الشيب بالحنا ليستره * سل الاله له سترا من النار

(وقال أبو الطيب المتنبى)

ومن هوى كل ما كانت مموهة * تركت ون مشيبى غير مخضوب
ومن هوى الصدق فى قولى وعادته * رغبت عن شعر فى الوجه مكذوب

(وقال غيره)

تولى الجهل وانقطع العتاب * ولاح الشيب وافتضح الخضاب
لقد أبغضت نفسى فى مشيبى * فكيف تحبنى الخود الكعاب

(باب مدح المرض)

(حدث) الصولى عن أبى ذكوان قال سمعت ابراهيم بن العباس يصف لى الفضل بن سهل وتقدمه ويصف علمه وكرمه فكان مما حدثنى به أنه قال برأ الفضل من علة عرضت له فجلس للناس وهنؤه بالعافية فلما فرغوا من كلامهم قال لهم ان فى المرض لنعما لا ينبغى للعقلاء أن يجحدوها منها تمحيص للذنوب وتعرض للثواب والصبر

وايقاظ من الغفلة واذكار للنعمة الموجودة فى الصحة ورضا بما قدر الله وقضاه واستدعاء التوبة وحض على الصدقة فحفظ الناس كلامه ونسوا ما قال غيره (وكان) يقال مرارة السقم توجد حلاوة العافية وفى الخبر ان المريض يخرج من مرضه نقيا من الذنوب كيوم ولدته أمه وفى الخبر أيضا ان المريض لتتساقط خطاياه كما يتساقط الورق من الشجر فى الخريف (وكان) طاوس يقول دعاء المريض مستجاب أما سمعت قوله تعالى أمن يجيب المضطر اذا دعاه والمريض مضطر جدا وفى خبر آخر حمى ليلة كفارة سنة (وقال بعض العلماء) رب مرض يكون تمحيصا لا تنغيصا وتذكيرا لا تكديرا وأدبا لا غضبا (وقال ابن المعتز) قلت لبعض فقهائنا وأنا عليل وقد سألنى عابد بحضرته عن حالى فقال لى كيف أنت فقلت أترانى ان قلت فى عافية كنت كاذبا فقال لا قد قال بعض الصالحين اذا أعلك الله فى جسدك فقد أصحك من ذنوبك

(باب ذم المرض)

كان يقال الصحة تشبه الشباب والمرض يشبه الهرم وقيل لا رفيق أرفق من الصحة ولا عدو أعدى من المرض (وقال آخر) شيآن لا يعرفان الا بعد ذهابهما الصحة والشباب (وقال بزرجمهر) ان كان شئ فوق الموت فهو المرض وان كان شئ مثله فهو الفقر وان كان شئ فوق الحياة فهو الصحة والشباب وان كان شئ مثلهما فهو الغنى (وقال ابن المعتز) المرض حبس البدن كما أن الهم حبس الروح (وقال بشار)

انى وان كان جمع المال يعجبنى * لا يعدل المال عندى صحة الجسد
المال زين وفى الاولاد مكرمة * والسقم ينسيك ذكر المال والولد

(وللمتنبى) واذا الشيخ قال أف فما * حمل حياة وانما الضعف ملا
آلة العيش صحة وشباب * فاذا وليا عن المرء ولى

(باب مدح الموت)

فى الحديث المرفوع الموت راحة (وقال) بعض السلف ما من مؤمن الا والموت خير له من الحياة لانه ان كان محسنا فالله يقول وما عند الله خير وأبقى وان كان مسيئا فانه تعالى يقول ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما (وقال) ميمون بن مهران بت ليلة عند عمر بن عبد العزيز فكثر بكاؤه ومسألته الله الموت فقلت يا أمير المؤمنين تسأل ربك الموت وقد صنع الله على يديك خيرا كثيرا

أحييت سننا وأمت بدعا وفى بقائك راحة للمسلمين فقال أفلا أكون كالعبد الصالح يوسف بن يعقوب عليهما السلام حين أقر الله عينيه وجمع له أمره قال رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت ولي فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين (وقالت) الفلاسفة لا يتكمل الانسان حد الانسانية الا بالموت لان حد الانسان أنه حى ناطق ميت (وقال بعض السلف) الصالح اذا مات استراح والطالح اذا مات استراح منه وقال آخر رب موت كالحياة قال الشاعر

وما الموت الا راحة غير أنها * من المنزل الفانى الى المنزل الباقى

(وقال آخر)

جزى الله عنا الموت خيرا فانه * أبر بنا من كل بر وأرأف
يعجل تخليص النفوس من الاذى * ويدنى من الدار التى هى أشرف

(وقال منصور الفقيه)

قد قلت اذ مدحوا الحياة فأسرفوا * فى الموت ألف فضيلة لو تعرف
منها أمان لقائه بلقائه * وفراق كل معاشر لا ينصف

(وقال أبو أحمد بن أبى بكر الكاتب)

من كان يرجو أن يعيش فانى * أصبحت أرجو أن أموت فاعتقا
فى الموت ألف فضيلة لو أنها * عرفت لكان سبيله أن يعشقا

(وقال ابن لنكك البصرى)

نحن والله فى زمان غشوم * لو رأيناه فى المنام فزعنا
أصبح الناس فيه من سوء حال * حق من مات منهم أن يهنا

شعر

ولدتك أمك يا ابن آدم باكيا * والناس حولك يضحكون سرورا
فاحرص على عمل تكون اذا بكوا * فى يوم موتك ضاحكا مسرورا

(باب ذم الموت)

(قال) صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هاذم اللذات فانه ما ذكر فى قليل الا كثره ولا فى كثير الا قلله أى ما ذكر فى كثير من العمل الا كثره لان تفكر ساعة خير من عمل ستين سنة ولا فى كثير من الامل الا قلله أى باعتبار ما ينشأ عنه من تقتير الهمم

والعزائم ولكن حجاب الغفلة وطول الامل شغل معظم الخلق قال

ونحن فى غفلة عما يراد بنا * تنسى لشقوتنا من ليس ينسانا

ولبعضهم وماهذه الايام الا صحائف * يؤرخ فيها ثم تمحى وتمحق

ولم أر فى دهرى كذاتر ة المنى * توسعها الآمال والعمر ضيق

وفى بعض الآثار عن النبى المختار الامل رحمة من الله لامتى (وقال الشاعر)

ياموت ما أجفاك من نازل * تنزل بالمرء على رغمه

تستلب العذراء من خدرها * وتأخذ الواحد من أمه

(وقال آخر) وكل ذى غيبة يؤب * وغائب الموت لا يؤب

(وقال بعضهم) الناس فى الدنيا أغراض تنتضل فيها سهام المنايا (وقال ابن المعتز) الموت كسهم مرسل اليك وعمرك بقدر سفره نحوك (وقال بعض السلف) الموت أشد ما قبله وأهون ما بعده (ونظر) الحسن الى ميت يدفن فقال ان شيأ هذا أوله لحقيق أن يخاف آخره وان شيأ هذا آخره لحقيق أن يزهد أوله (وسئل) بعض الفلاسفة عن الموت فقال مفارقة من ركبها أضل خبره قال الشيخ يعنى أخفى خبره وعفا أثره (وقال المتنبى)

اذا ما تأملت الزمان وصرفه * تيقنت أن الموت ضرب من القتل

وما الموت الا سارق دق شخصه * يصول بلا كف ويسعى بلا رجل

وقال أيضا نحن بنو الموتى فما بالنا * نعاف ما لا بد من شربه

يموت راعى الضأن فى جهله * موتة جالينوس فى طبه

(وقال) ابن المعتز كأن من غاب لم يشهد ومن مات لم يولد (وقال أيضا) الميت يقل الحسد له ويكثر الكذب عليه

(باب مدح السواد)

أحسن ما قيل فيه قول أبى يوسف القاضى وقد جرى بين يدى الرشيد ذكر السواد من بين الالوان ياأمير المؤمنين من فضائل السواد أنه لم يكتب كتاب الا به حتى كتاب الله تعالى (وكان) يقول النور فى السواد يعنى سواد الناظر وقد أكثر الشعراء فى مدح السواد ووصفه * فمن أحسانه قول أبى حفص فى جارية له

أشبهك المسك وأشبهته * قائمة ما كنت أو قاعده

لاشك اذ عرفكما واحد * أنكما من طينة واحده

(وقال ابن العبسى)

ان سعدى والله بكلا سعدى * ملكت بالسواد رق سوادى

أشبهت ناظرى وحبة قلبى * فهى فى العز ناظرى وفؤادى

لن يرى الناظرون شيأ وأن أشرق حسنا الا بنور السواد

(وقال بعض الكتاب فى غلام أسود)

قالوا عشقت من البرية أسودا * مهلا علقت باضعف الاسباب

فاجبتهم ما فى البياض فضيلة * وأرى السواد نهاية الطلاب

أهوى السواد لان شيئى أبيض * بردى الفتى وأحب لون شبابى

وكذاك فى الكافور برد قاطع * والمسك أصح سيد الاطياب

وبه تزين كف كل خريدة * وبه تتم صناعة الكتاب

والله ألبس أهل بيت محمد * لون السواد فكف عنك عتابى

(وقال ابن الرومى وزاد عليه)

غصن من الآبنوس ركب فى * مؤتزر معجب ومنتطق

سوداء لم تنتسب الى برض الشقر ولا لمعة من البهق

اكسبها الحب أنها صبغت * صبغة حب القلوب والحدق

فانصرفت نحوها الضمائر وال * ابصار يعنق أيما عنق

وبعض ما فضل السواد به * والجبر ذو سلم وذو يقق

أن لا تعيب السواد حلكته * وقد يعاب البياض بالبهق

(وقال بعض الظرفاء)

يكون الخال فى خد قبيح فيكسوه الملاحة والجمالا

فكيف بلام مشغوف بمن * قد يراه كله فى العين خالا

(وقال الصابى فى غلام أسود)

لك وجه كأنما خضبه سو * داء قاب عن التصبر خالى

فيه معنى من البدور ولكن * نفضت صبغها عليه الليالى

لم يشنك السواد بل زدت حسنا * انما يلبس السواد الموالى

(لطيفة) قيل ان هرون الرشيد جلس ذات يوم و بين يديه جاريتان احداهما سوداء والاخرى بيضاء فتعاتبت الجاريتان وتنادمتا ثم ان كل واحدة منهما أنشدت شعرا تمدح نفسها وتذم صاحبتها ثم ان السوداء أنشدت تقول

ألم تر أن المسك لاشئ مثله * وان بياض اللفت تحمل بدرهم
وان سواد العين لاشك نورها * وان بياض العين لاشئ فافهم

فاجابتها البيضاء وقالت

ألم تر أن الدر لاشئ فوقه * وأن سواد الفحم تحمل بدرهم
وان رجال الله بيض وجوههم * وان الوجوه السود أهل جهنم

فاستحسن الرشيد قولهما وخلع عليهما (وقال ابن المعتز) يامسكة العطار وحال وجه النهار

(باب ذم السواد)

أحسن ماقيل فى ذم السواد قول الاوزاعى السواد لا يلبى فيه محرم ولا يكفن فيه ميت مسلم ولا تجلى فيه عروس (وقال) الماهانى لصديق له لم أولعت بالسودان فقال لانهن أسخن فقال الماهانى للعين (وقال) أحمد بن أبى الطيب السرخسى من معايب السودان أنه لا يظهر فيهم أثر الحياء والخجل ولم يتخذ الله منهم نبيا (وقال أبو حنش)

رأيت أبا الجناء فى الناس جائرا * ولون أبى الجناء لون البهائم
تراه على مالاحه من سواده * وان كان مظلوما له وجه ظالم

(وقال) اللحام فى هجاء أسود

ويبرز للرائين وجها كانما * كساه اها بامن قشور الخنافس

وقد أحسن كشاجم فى هجاء رجل أسود جائر

يامشبها فى فعله لونه * لم تعدما أوجبت القسمة
فعلك من لونك مستخرج * والظلم مشتق من الظلمه

(باب مدح الغوغاء والسفهاء)

فى الخبر ان الله ينصر هذا الدين باقوام لا خلاق لهم (وكان) الاحنف بن قيس يقول أكرموا سفهاءكم فانهم يكفونكم النار والعار (وذكر محمد بن جعفر) رضى الله تعالى عنهما الغوغاء فقال انهم ليطفئون الحريق ويستنقذون الغريق ويسدون البثوق (وكان) الشافعى رحمة الله تعالى عليه يقول لابد للفقيه من سفيه يناضل معه

ويحامى عليه (وكان) سعيد بن سالم يقول ينبغى للرئيس أن يأخذ فى ارتباط السفهاء من الغوغاء وفيه يقول الشاعر

والى لاستبقى امرأ السوء عدة * لعدوة عريض من القوم جانب
أخاف كلاب الابعدين وهرشها * اذا لم تجاوبها كلاب الاقارب

(باب ذم الغوغاء والسفهاء)

ذكرهم واصل بن عطاء فقال ما اجتمعوا قط الا ضروا وما تفرقوا الا نفعوا فقيل له قد عرفنا مضرة الاجتماع فما منفعة الافتراق فقال يرجع الحائك الى حياكته والطيان الى مطينته والفلاح الى فلاحته وكل ذلك من مرافق المسلمين ومعاون المحتاجين (وقال) الجاحظ الغاغة والباعة والاغبياء والسفهاء كانهم أغرار عام واحد وهم فى بواطنهم أشد تشابها من التوأمين فى ظواهرهما وكذلك هم فى مقادير العقول وفى الاعتزام والتسرع وفى الاسنان والبلدان (وقد) ذكر الله تعالى ذكره رد قريش ومشركى العرب على النبى صلى الله عليه وسلم قذكر ألفاظهم ومعايبهم ومقاديرهم همهم التى كانت فى وزان ما كان من جميع الامم مع انبيائهم فقال عز وجل تشابهت قلوبهم الآية وقال فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا ومثل هذا كثير ألا ترى أنك لا تجد أبدا فى كل بلدة وعصر الحاكة فيها الاعلى مقدار واحد وجهة واحدة من السخف والخول والغباوة والظلم وكذلك النخاسون على طبقاتهم من أصناف ما يبيعون ويبتاعون وكذلك السماكون والقلاشون على مثال واحد وجهة واحدة * وكل حجام فهو شديد الحرص على شرب النبيذ وقد اختلفوا فى البلدان والاجناس والانساب (وكان المأمون) يقول كل شر وضر فى الدنيا انما هو صادر عن السفهاء والغاغة فانهم قتلة الانبياء والاولياء والاصفياء وهم المضربون بين العلماء والنمامون بين الاوداء والساعون الى السلاطين ومنهم اللصوص والسراق والقطاع والطرارون والجلادون ومثيرو الفتن والمغيرون على الاموال فاذا كان يوم القيامة حروا على عادتهم فى السعاية يقولون ما حكى الله عنهم ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا

(باب مدح العمى)

(قال) الله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقيل لقتادة ما بال العميان أذكى وأكيس من البصراء قال لان أبصارهم تحولت الى قلوبهم * وقال الجاحظ العميان أذكى وأحفظ وأذهانهم أقوى وأصفى لانهم غير مشتغلى الافكار بتمييز الاشخاص ومع النظر تشعب الفكر ومع اطباق العين اجتماع اللب (ولذلك) قال عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنهما

ان ياخذ الله من عينى نورهما * ففى لسانى وقلبى منهما نور
قلبى ذكى وعقلى غير ذى دخل * وفى فمى صارم كالسيف مشهور

(وقال) يعيرنى الاعداء والعار فيهم * وليس بعار أن يقال ضرير
اذا أبصر المرء المروءة والتقى * وان عمى العينان فهو بصير

(وقد عير) بعضهم أعمى وكان لسنا فصيحا فقال يهجوه ويعرض ببدائه

ليس العمى داء ولكنه * شظفة تشريف على ضره
ما الهم والداء وكل البلا * الا ابتلاء المرء فى دبره
فالحمد لله الذى صاننا * مما يحار الطير فى أمره

(وقال الشاطبى رحمه الله)

ان اذهب الله من عينى نورهما * فان قلبى مضى عما به ضرر
أرى بقلبى دنياى وآخرتى * والقلب يدرك مالا يدرك البصر

(وقال) رجل لبشار ما سلب الله من عبد كريمتيه الا عوضه عنهما فما الذى عوضك عن عينيك فقال فقد النظر الى بغيض مثلك (وقال) أبو يعقوب الخزيمى من فضائل العمى ومرافقه اجتماع الرأى والذهن وقوة الادراك والحفظ وسقوط الواجب من الحقوق والامان من فضول النظر الداعية الى الذنوب وفقد رؤية الثقلاء والبغضاء وحسن العوض عن سراجى الوجه فى دار الثواب وقال منصور الفقيه

يا معرضا ازدرانى * لما رآنى ضريرا كم قد رأيت بصيرا * أعمى وأعمى بصيرا
قل لى وان أنت أنصفت قلت خلقا كثيرا

(باب ذم العمى)

أحسن ما قيل فيه قول الشاعر

لا تلومن فى السفاهة أعمى * فسكوت اللبيب عنه صواب

كيف يرجو الحياء منه صديق * ومكان الحياء منه خراب

(وقال) الجاحظ رأيت ضريرا بباب الكرخ يقول ارحموا ذا الزمانتين فقلت أما احداهما فالعمى فما الاخرى قال عدم الصوت أما ترى الشاعر كيف يقول

أرى شيئين ان عدما * خيرا منهما الموت فقير ماله مال * وأعمى ماله صوت

وينشد

سمعت أعمى قال فى مجلس * يا قوم ما أوجع فقد البصر
فقال من بينهم أعور * من العمى عندى نصف الخبر

(وقال) منصور الفقيه

جعلت الجدار دليلى عليك * لانى أرانى مثل الجدار
وصار نهارى وليلى سوا * وقد كان ليلى مثل النهار

(باب مدح السجن)

أحسن ما قيل فيه قول على بن الجهم

قالوا حبست فقلت ليس بضائرى * حبسى وأى مهند لا يغمد
أو ما رأيت الليث يألف غابه * كبرا وأوباش السباع تردد
والبدر يدركه المحاق فتنجلى * أيامه وكأنه متجدد
ولكل حال معقب ولربما * اجلى لك المكروه عما تحمد
والسجن ما لم تغشه بدنية * شفاء نعم المنزل المتودد
بيت يجدد للكريم محله * فيزار فيه ولا يزور ويقصد

(وأحسن) ما قيل فى تسلية المسجونين قول البحترى

اما فى رسول الله يوسف اسوة * لمثلك محبوسا على الضيم والافك
اقام جميل الصبر فى السجن برهة * فافضى به الصبر الجميل الى الملك

(وقال البستى)

فديتك يا روح المكارم والعلى * بأنفس ما عندى من الروح والنفس
حبست فمن بعد الكسوف تبلج * تضىء به الآفاق كالبدر والشمس
فلا تعتقد للحبس هما ووحشة * فقبلك قدما كان يوسف فى الحبس

وقال آخر

بنفسى من لم يضربوه لريبة * ولكن ليبدوا الورد فى سائر الغصن

ولم يودعوه السجن الا خافة * من العين ان تعدو على ذلك الحسن
وقالوا كما شاركت فى الحسن يوسفا * فشاركه أيضا فى الدخول الى السجن

(ومن) أبلغ ماقيل فى الاهانة بالحبس والضرب قول بعض الاعراب

وما الحبس الا طل بيت سكنته * وما السوط الا جلدة وافقت جلدا

(باب ذم السجن)

كتب يوسف عليه السلام على باب السجن هذه منازل البلاء وتجربة الاصدقاء وشماتة الاعداء وقبور الاحياء (وكتب) بعض المحبوسين الى صديق له كتبت اليك من دار ليست لها مالكا ولا مرتهنا ولا مكتريا وليست بوقف على ولست فيها ضيفا ولا زائرا فقال انا لله وانا اليه راجعون كتبه من السجن (وقال شاعر من المسجونين)

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها * فلسنا من الاحياء فيها ولا الموتى
اذا جاءنا السجان يوما لحاجة * عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

(وقال) عبد الملك بن عبد العزيز وكان فى حبس الرشيد

ومحلة شمل المكاره أهلها * وتقلدوا مشنوءة الاسماء
دار يهاب بها المنام ونتقى * وتقل فيها هيبة الكرماء
ويقول علج ما أراد ولا ترى * حرا يقول برقة وحياء
ويرق عن مس الملاحة وجهه * فيصونه بالصمت والاغضاء

(باب مدح التعليم)

أحسن وأجمع ما سمعت فى مدح التعليم قول أبى زيد البلخى فى رسالة كتبها الى من عيره بأنه معلم ليس يستغنى عن التعلم والتعليم أحد لان الخاصة والعامة تضطر اليهما فى جميع الديانات والصناعات والآداب والأنساب والمكاسب والمذاهب فما يستغنى كاتب ولا حاسب ولا صانع ولا بائع ولا أحد فى كل مذهب ومكسب أن يتعلم صناعة ممن هو أعلم منه ويعلم من هو أجهل منه وقوام الخلق بالتعلم والتعليم فالمعلم أفضل من المتعلم لان صفة المعلم دالة على التمام والافادة وصفة المتعلم دالة على النقصان والاستفادة وحسبك جهلا من رجل يذم ما وصف به الخالق نفسه ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس قد قال الله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها وقال وعلمناه من لدنا علما وقال الرحمن علم القرآن وقال فى وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلمهم

الكتاب والحكمة الآية (باب ذم التعليم)

أحسن ما قيل فى ذم المعلم قول الشاعر

وكيف يرجى العقل والحلم عند من * يروح الى أنثى ويغدو الى طفل

وقال آخر يهجو معلما

معلم صبيان وحامل درة * وليس له عقل بمثقال ذرة

(وقال المحدونى)

معلم صبيان بروح ويغتدى * على انفه ألوان ريح فسائهم
وقد أفسدوا منه الدماغ بفسوهم * ورفعهم أصواتهم ونداتهم
ويستخدم الغلمان ثم يتيكهم * ويقتلهم جوعا بأكل غذائهم

(وقال آخر)

ان المعلم حيث كان معلم * ولو ابتنى فوق السماك بناء
أو كان علم ساعة من دهره * أو كان علم آدم الاسماء
لابد من نقص يكون بعقله * فاخلص بنفسك حيث كان الداء

(وقال الجاحظ) عقل مائة معلم عقل امرأة وعقل مائة امرأة عقل حائك (وقيل) مر معلم فى النظارة الى بعض الحروب فأصابت رأسه نشابة وبقيت فيه فلما أريد نزعها منه قال جار له ارفقوا به لا تصيبوا دماغه فقال انزعوها كيف شئتم فلو كان لى دماغ ما خرجت فى النظارة الى الحرب (وقيل) لمعلم ان معلما لا تكن أحمق فقال حمق موروث

(باب مدح الرقيب)

(قال بعض الظرفاء) لا أقوم بواجب شكر الرقيب لانه حفيظ على الحبيب كما يمنعه منى يمنعه من غيرى وأنشد

موقف للرقيب ما أنساه * لست أختاره ولا آباه
مرحبا بالرقيب من غير وعد * جاء يحلو على من أهواه
لا أحب الرقيب الا لأنى * لا أرى من أحب حتى أراه

(ويقال) الرقيب ثانى الحبيبين

(باب ذم الرقيب)

فدجرى المثل بثقل الرقيب وحسن توقع فقده ومن أحسن ما قيل فى ذمه قول ابن

الرومى مابالها حسنت لنا ورقيبها * أبدا قبيح قبح الرقباء
ماذاك الا انها شمس الضحى * أبدا يكون رقيبها الجرباء
(ولبعضهم) هم أيقظوا رقط الافاعى ونبهوا * عقارب ليل نام عنها حواتها
وقد نقلوا عنى الذى لم أقله به * وما آفة الاخبار الا رواتها

(باب مدح لا)

أحسن ماقيل فى مدح لا نثرا قول بعض الحكماء لولم يكن من فضل لا الا انها افتتاح كلمة التوحيد لكان كافيا يعنى لا اله الا الله ونظما قول غيره

اجتمع الناس على ذم لا * غيرى فانى موجب حق لا
وذا لانى قلت يوما له * تحب غيرى سيدى قال لا

(وقال الكندى) قول لا يدفع البلا وقول نعم يزيل النعم (وقال) سليمان بن عبد الله ابن طاهر فى كل شئ سرف * يكره حتى فى الكرم
وربما ألفيت لا * أفضل من ألف نعم

(وكان المهلب) يوصى ابنه عبد الملك و يقول له اياك والسرعة عند مسئلة بنعم فان نعم أولها سهل فى مخرجها وآخرها ثقيل فى فعلها واعلم أن لا وان قبحت فربما وجت وان كنت فى أمر تسئله على قدرة فيه فأطمع وان عرفت أن لا سبيل اليه فاعتذر عنه وادفع فان من لا يدفع بالعذر فنفسه ظلم

(باب ذم لا)

(وقال بعضهم) لعن الله قول لا * خلقت خلقة الجلم
انما تقرض الجميل وتأبى على الكرم

و وصف لا أبو الحرث يحيى بن خالد البرمكى فقال قبح الله لا كأنه مشجب من حيث أتيته * المشجب عيدان يضم بعضها الى بعض مفتحة الاطراف تعلق عليها الثياب (وقال غيره) على نحو ما تقدم

ياليت لا ما كتبت * فانها تحكى الجلم

(باب مدح اليمين)

(ادعى) رجل على داود بن على الاصبهانى مالا فى مجلس حكم عند اسمعيل بن اسحق القاضى فأنكره وحلف له فقال القاضى يا أبا سليمان أنت مع محلك من العلم تحلف

فى مثل هذا المجلس فقال نعمت اليمين الصادقة ثناء على الله وانما فعلت ما أمر الله به ورسوله فقال وما هو فقال أليس الله يقول لرسوله عليه الصلاة والسلام ويستنبئونك أحق هو قل اى وربى انه لحق و يقول سبحانه وتعالى زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى و ربى لتبعثن وقال جل ذكره وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم قال القاضى قم بالسلامة فما أرى أحدا يقطعك (وقال ابن الرومى)

وانى لذو حلف حاضر * اذا ما اضطررت وفى الحال ضيق
فهل من جناح على مسلم * يدافع بالله مالا يطيق

(وكان) أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه يقول اذا ابتليت بالسلطان فخرق دينك بالايمان ورقعه بالاستغفار فان الله تعالى يقول لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم

(باب ذم اليمين)

(قال) الله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث المرفوع اليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع (و يقال) اليمين حنث ومندمة (و يقال) كلام الجاهل كله حلف وكلام العاقل كله مثل (وقال) بعض السلف دع اليمين لله اجلالا وللناس اجمالا (وقال ابن المعتز) علامة الكذاب مبادرته باليمين لغير مستحلف وقيل لو لم يكن فى اليمين الا أنه يغضب صاحبه و يبغضه الى الناس ولو كان فيه صادقا لكفى

(باب مدح شهر رمضان)

فى الحديث المرفوع اذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين (وكان) عليه الصلاة والسلام يبشر أصحابه فى شهر رمضان و يقول قد جاءكم الشهر المبارك الذى فيه الليلة التى هى خير من ألف شهر ولله فى كل ليلة من ليالى شهر رمضان ستمائة ألف عتيق من النار وله فى آخر ليلة من ليالى مثل ما أعتق فى جميع الشهر (وقال) بعض الزهاد

ان شهر الصيام مضمار نسك * وسباق الى رضا المعبود
حلبة خيلها الصيام مع النسك وادخالها جنان الخلود

(وقال آخر) وهو أبدع ما قيل فيه

شهر الصيام مشاكل الحمام * فيه طهور جوامع الآثام
فاطهر به واحذر عثارك انما * شر المصارع مصرع الحمام

(وقال) أبو جعفر محمد بن موسى الرامى

مضى رمضان المرمض الدين فقده * وأقبل شوال يشول به قهرا
فيالك شهرا شهر الله قدره * لقد شهرت فيه سيوف الهدى شهرا

(وقال الصاحب)

قد تعدوا على الصيام وقالوا * حرم العبث فيه حبس العوائد
كذبوا فالصيام للمرء مهما * كان مستيقظا أتم الفوائد
موقف بالنهار غير مريب * واجتماع بالليل عند المساجد

(باب ذم شهر رمضان)

كتب أبو على البصير الى ابن مكرم فى شعبان كتبت اليك فى آخر يوم من أيام الدنيا بادبار شعبان وأول يوم من أيام الآخرة باقبال شهر رمضان (وقال) بعض الجان شهر رمضان مخشلبة بين درتين يعنى شعبان وشوالا (وقال) البحترى

طال هذا الشهر المبارك حتى * قد خشينا بأن يكون لزاما
كم صحيح قد ادعى السقم فيه * وعليل قد ادعى البرساما
وخير من السلامة عندى * للفتى علة تحل الحراما

(وقال ابن الرومى)

شهر الصيام وان عظمت حرمته * شهر ثقيل بطىء السير والحركه
يمشى رويدا فاما حين يطلبنا * فلا السليك يدانيه ولا السلكه
كأنه طالب ثأرا على فرس * أجد فى أثر مطلوب على رمكه
شهر كان وقوعى فيه من قلق * وسوء حالى وقوع الحوت فى الشبكه
يا صدق من قال أيام مباركة * ان كان يكنى عن اسم الثقل بالبركه
أذمه غير وقت فيه أحمده * وقت العشاء الى أن تصقع الديكه
لو كان مولى وكنا كالعبيد له * لكان مولى بخيلا سيئ الملكه

(وقال أيضا)

اذا بركت فى صوم لقوم * دعوت لهم بتطويل العذاب

وما التبريك فى شهر طويل * يطاول يومه يوم الحساب
فليت الليل فيه كان شهرا * ومر نهاره مر السحاب
فلا أهلا بمانع كل خير * وأهلا بالطعام وبالشراب

(وقال غيره) الغوث من هذا الصيام * قد صار لى مثل اللحام
* ما ان أمتع بالطعام وبالمدامة والمرام

(ولمؤلف الكتاب)

رمضان أمرضنى وأرمض باطنى * صادلت صدكالطبائع أربعه
صوم وصفراء تجرعنى الردى * وصبابة وصدود من قلبى معه

(وقال بشار) قل لشهر الصيام أنحلت جسمى * ان ميقاتنا طلوع الهلال
اجهد الآن كل جهدك فينا * سترى ما يكون فى شوال

(باب مدح الوغد)

(حدثنى) عون بن محمد قال حدثنى أحمد بن سيار قال وعد زيد بن مزيد رجلا قضاء حاجة فقال له لم تعدنى وأنت تقدر على الانجاز فقال تسر الى وقت قضاء الحاجة فان سرور القضاء وقت واحد وسرور الوعد الى وقت الانجاز متصل ولو شاء الله أن يفتح مكة لنبيه عليه الصلاة والسلام لفعلها أول ارادته ولكن أحب أن يتصل سرور المسلمين باتصال انقضاء الوعد وعن أحمد بن يزيد قال حدثنى البحترى عن خارجة بن مسلم بن الوليد عن أبيه قال سألت الفضل بن سهل حاجة فقال لى أسرك اليوم بالوعد وأحبوك غدا بالانجاز فانى سمعت يحيى بن خالد البرمكى يقول المواعيد شباك الكرام يصيدون بها محامد الاحرار ولو كان المعطى لا يعد لارتفعت مفاخر انجاز الوعد و بطل فضل صدق القول

(باب ذم الوعد)

(أخبرنا) محمد بن الحسن قال أبو الحسن المدائنى حدثت عن الخليل بن أحمد قال بلغنى ان طلحة الطلحات قال ما بات رجل على موعد منذ عقلت وما تململ الموعود فى ليله ليغدو للظفر بحاجته أشد من تململى للخروج اليه من عدته خوفا لعارض الخلف ان الخلف ليس من اخلاق الكرام (قيل) وكان عمر بن عبد العزيز لا يكاد يوجب على نفسه شيأ توقيا للخلف (قال مؤلفه أبو نصر) لم أجد هذين البابين فى الاصل غير أنى وجدتهما فى النسخة الساقطة الى من أصفهان والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ يقول راجى غفران المساوى مصححه محمد الزهرى الغمراوى ﴾

نحمدك اللهم جعلت من أحاسن الزينة حلية الآداب ونورت البصيرة ولا بمثل الحكم التى ألهمتها الاولى الالباب ونسألك الصلاة والتسليم على خلاصة العوالم وحجة الله الكبرى على بنى آدم سيدنا محمد المبعوث لتتميم مكارم الاخلاق وعلى آله وأصحابه الذين شربوا من زلال كمالاته ما حلا وراق ﴿ أما بعد ﴾ فقد تم بحمده تعالى طبع كتاب اللطائف والظرائف للعلامة الاوحد والاديب المفرد الشيخ أبى نصر أحمد بن عبد الرزاق المقدسى رحمه الله وأنابه رضاه وهو كتاب يعجز البنان ان يسطر ما يليق برقته ولطفه وان يقوم بواجب حقه وظرفه وكيف لا وهو قد جمع بدائع الاقوال فى مدح الشئ وذمه ورقائق المعانى فى صغر الشئ وعظمه وذلك بالمطبعة الميمنية بمصر المحروسة المحمية بجوار سيدى أحمد الدردير قريبا من الجامع الازهر المنير وذلك فى شهر شعبان المعظم

سنة ١٣٢٤ هجريه على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية

آمين